إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المعرفة بالله تعالى أو مايقرب من هذه الشهادة، لكن من أراد ان يوهمهم ذلك الخداع لا يسيرون في ظلمات الاوهام، ولا يشهدون الزور، ولا يتسلقون لاعطاء مراتب الصوفية لاهل الضلال . واذا كان أولئك الشهداء معتقدين صدق أقوالهم فلماذا لا يدينون بدين العارفين بالله تعالى واقطاب دينه وأهل سره ؟ تبا لمن يبيع دينه ووجدانه بالأماني الوهمية وويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكتبون

مقدمة

كتاب الحكمة الشرعية (*

(في محاكمة القادرية والرفاعية)

بسم الله الرحمن الرحيم

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم *

تلك آيات الكتاب الحكيم، تهدي الى الحق والى طريق مستقيم،

---

*) فاتحة العدد الثامن والعشرين الصادر في ١ جمادى الأولى سنة ١٣١٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا ينكب عن نهجها ويرغب عن هديها الا القوم الضالون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون * ويل لكل أفاك أثيم * يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقراً، فبشره بعذاب أليم *

هذا خطاب الله تعالى لنا في كتابه المعصوم، وهو الامام الحق الهادي الى سواء السبيل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أمرنا بالاعتصام بحبله المتين، ونهانا عن تفرق الكلمة واختلاف الوجهة، وامتن علينا بتأليف القلوب والاتحاد في سبيل الحق، حتى أصبحت رابطتنا الملية كالعصبية الجنسية، وافراد أبناء الملة باجتماعهم واتحادهم الديني كالاخوة في القرابة النسبية، الذين يرجعون الى اصل واحد يعرفونه ولا ينكره منهم أحد . وانذرنا بأن المتفرقين عن الحق والمختلفين فيه بعد مجيء البينات وتبيين الايات، هم الذين يمسهم العذاب العظيم، وأكد لنا النهي بتكريره لكيلا نكون كالفريق المتفرق فيجري علينا حكم سنته العادلة وحكمته البالغة، هذا بعد ما نبهنا على انه ما بين لنا ذلك الا رجاء اهتدائنا بالتمسك بهديه، والاعتصام بحبله، وفرض علينا القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لئلا يجهل ما أمر الله به ونهى عنه، فينبذ الطاعة ويشذ عن الجماعة، فيسقط في مهاوي الهلكة، وتفترسه الذئاب العادية، ويكون عبرة للمعتبرين

لقد صدقنا الله تعالى وعده ووعيده، وظهر فينا تأويل كتابه، ونفذ في أبناء ملتنا حكم سنته في أهل الشقاق والافتراق، وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

كانوا من عهد نبيه «عليه الصلاة والسلام» والخلفاء الراشدين المهديين من بعده متمسكين بكتاب الله المبين، ومعتصمين بحبله المتين، كلمتهم واحدة ووجهتهم متفقة، ففتحوا الفتوحات، ونشروا لواء العدل واتسع سلطان ملكهم بما أزالوا من سلطة الفرس والرومان وغيرهما، حتى كان في أواخر مدة الخلافة الراشدة ما كان من الاختلاف والافتراق، أثار ما أثار مما لا يخفى على أولي الابصار — ولا حول ولا قوة الا بالله

ثم لما سكنت الزعازع، وسكت المنازع للمنازع، وخضع المسلمون لامير واحد انشعب صدعهم، واندمل جرحهم، وتنبهوا لمصالحهم، وتيقظوا للقيام بشؤونهم، فاندفعوا كالسيل يتسابقون لاكتساب الكمال وادراك المجد المؤثل، فتغلبوا على الممالك، وتوسعوا في مجال الفنون من العلوم والصنائع، وأعز الله تعالى دينهم على الدين كله، حتى دخل فيه في أقل من قرن واحد أكثر من مائة الف نفس من غير حرب ولا كفاح، وافتتحوا في نحو ثمانين سنة زيادة عما افتتحه الرومانيون في ثمانمائة سنة، فامتد ملكهم من القاموس الا تلانتيك من جهة المغرب، الى تونكين الصينية في اطراف المشرق، ودام لهم هذا السلطان باتفاقهم وتضافرهم الى أمد ليس بقريب، وهم في خفض من العيش ورغد من الحياة، لا يضارعهم في ذلك مضارع، ولا ينازعهم فيه منازع، ثم لما تعددت فيهم الامراء، وانقسم ملكهم الى عدة ممالك كل مملكة تستقل تحت رياسة سلطان، وذهلوا عن مخالفة ذلك لاصول دينهم الراسخة جذورها في تربة الحكمة الطيبة، الضاربة فروعها في سماء المجد والعزة، وانما بمراعاتها جنوا ما جنوه من ثمرات السعادة — انظر ماذا آل اليه أمرهم، لم يلبثوا الا ساعة من نهار يتعارفون بينهم،

حتى تناكرت الوجوه ، وتقلبت القلوب ، واختلفت رغائب الامراء ، وعكف كل على شأن نفسه يعمل لها لا للامة ، فصار نهارهم ليلا ووزنهم كيلا ، فنزلت بهم المصائب ، وانتابتهم النوائب ، فمزقت بمخالبها أديمهم ، ومضغت بانيابها لحومهم وصاروا سلفا ومثلا للآخرين . فلو راجعت تاريخهم واستقريت أنباءهم ورأيت كيف عاث في بلادهم جنكيز خان التتاري واحفاده ، وكيف فتك بهم تيمورلنك وأضرابه ، ثم كيف فاض عليهم طوفان أوربا في الحروب الصليبية ، وسمعت صدى أصوات نسائهم منعكسا عن صفحات الكتب : تدعو بالويل والثبور ، لهتك الستور ، وعظائم الامور ، لفاضت عيناك حزنا ، وتمزق فؤادك أسى وشجنا

ثم ارجع البصر كرتين نحو غربي بلادهم وشرقيها ، وتأمل ما حل بهم في الاندلس ، وأسحب أشعة نظرك على ما نزل بغيرها من بلادهم ، حتى تنتهي الى البلاد الهندية ، والممالك التيمورية ، التي تغلبت عليها الامة البريطانية ، ولعلك قد شاهدت أو حدثك من شاهد ما رزؤا به بعد ذلك من جور المتغلبين وطمع الطامعين ، ولا تزال الفتنة ترمي في بلادهم بشرر كالقصر ، وكادت تعم كل بادية ومصر . ولا أرى عاقلا يرتاب في أن كل ذلك نتيجة تفرقهم واختلافهم وتشتت أهوائهم ، وهو ما حذرهم الله غائلته ، وأنذرهم مغبته ، فماروا بالنذر ، فأخذهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق ، وما ربك بظلام للعبيد . ولا رجاء في الامن على ما بقي لهم فضلا عن استرجاع ما سلب منهم الا أن يتحدوا جميعاً تحت لواء الخلافة ويكونوا كجسم واحد اذا تألم له عضو تداعى له سائر الجسد ، وكالبنيان

يشد بعضه بعضا، كما جاء في هدي صاحب الشريعة صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ان الدين الاسلامي كان أول ظهوره في الامة العربية وهي أشد الامم تعصبا للجنس وتحزبا له، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانتزع من قلوبهم حمية الجاهلية وامتلخ من نفوسهم التعصب للجنس والمشرب، ومن كلام صاحب النبوة عليه السلام «ليس منا من دعا الى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية» . حتى لم يبق للآخذين بهذا الدين عصبية في غير دينهم، وسواء في ذلك العربي والعجمي، ألم تر أن الوالد كان يقتل ولده لاجل الدين ولا تصده عن الفتك به رحمة الابوة، والولد يقتل أباه ولا تمنعه من سفك دمه حرمة الوالدية، نعم انهم كانوا يقفون في تعصبهم موقف الاعتدال، ولا يتعدون — ولا سيما في حال السلم — حدود الفضيلة والكمال، كما ترشد اليه آداب الشريعة. ولم يرسخ في نفوس المسلمين في أوائل نشأتهم خلق الاما كان مستنداً الى أمر ديني، ولم تجتمع كلمتهم للقيام بشأن من الشؤون الا أن يكون عن باعث الدين. ثم لما افترق المسلمون شيعا، وانقسموا في الاصول الى عدة مذاهب، وكان كل يدعو الى مذهبه عن وازع الدين، كان لهذا الاختلاف اليه الطائلة في تفرق الكلمة وفساد بعض الملوك والامراء، وكان لذلك من سوء العاقبة مالا يجهله من نظر في دواوين المؤرخين وأسفار الاخبار، وهذا من أوضح الشواهد وأبين الآيات على ان الحق في الاصول لا يتعدد، وان المصيب واحد، ومن عداه كافر أو مبتدع، وان اختلاف المذاهب تفرق في الدين والله تعالى يقول «أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» فالدين يدعو الى

الاجتماع والتوحيد، والمتمذهب يدعو الى الفرقة والتبديد، فهو ضد الدين وأثره مناقض لاثره . ومن مقومات سعادة هذه الامة أن يجتمع علماء المذاهب والفرق لاسيما الفرقتان العظيمتان أهل السنة والشيعة ويفرغوا وسعهم لازالة الخلاف من الخلاف، واستبدال الوفاق بالشقاق. ومتى جعلوا غرضهم الحق ورائدهم الانصاف اهتدوا الى الصراط المستقيم

ان الخلاف في الاصول زعزع أركان الاسلام، بخلاف اختلاف الائمة المجتهدين في الفروع، ولاسيما في المعاملات والاحكام القضائية التي يحكم فيها العرف ويختلف باختلاف الزمان، فانه قد يتعدد الحق فيها ويمكن أن يكون القولان المختلفان ولو في النفي والاثبات مشروعين، وكل منهما حق في الواقع، وانما اختلافهما لاختلاف الازمنة أو الامكنة أو الاشخاص. ذهب الى ذلك بعض الاصوليين وكاد يطبق عليه أهل الكشف والشهود، وفيه ألف العارف الشعراني كتاب الميزان الشهير الذي تلقته علماء الامة بالقبول، وقد نسب الامام النووي القول بأن كل مجتهد مصيب، الى جمهور المحققين (كما في شرح مسلم)

ألم تر ان اختلاف أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد لم يثر في الملة نزاعا يذكر، ولم يضرم نارا يوقود الفتن تتسعر، ولم يكن من أثره الا منافسات شخصية بين بعض أرباب الظهور . من علماء الرسوم والقشور، عند ما بعد عهد الائمة وطال الامد على اتباعهم، ففسق الكثير عن هديهم، وانحرف بهم السبيل عن سيرتهم. أما اختلاف الخوارج والمعتزلة والشيعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأهل السنة بعضهم مع بعض فقد كان من أهواله وسوء مآله ما أشاب النواصي، واقتضت له شوائخ الصياصي

ان أولي الاختلاف بعدم اثارة النزاع واضرام نار الفساد اختلاف مناهج شيوخ الطرق والمسلكين، في كيفية الدلالة على رب العالمين، بل لا يجدر بنا ان نسمي التفنن في وسائل الهداية اختلافا اذ لا اختلاف في الحقيقة كما أشار اليه قائلهم

عبارتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك المقام يشير

وقال سيدي عمر بن الفارض مشيرا الى ذلك

فكم بين حذاق الجدال تنازع وما بين عشاق الجمال تنازع

أولئك القوم لا مثار في طريقهم للبغضاء، ولا مبعث للشحناء، ولا مهب لرياح الاهواء، أولئك القوم لا مواقد في مناهجهم تضرم فيها نيران الفتن، ولا مجال تتراكض فيه خيول الاحن والمحن، أولئك القوم لا سعة في سبيلهم للتقاذف والتنابز، ولا فسحة للتقاطع والتدابر، قوم قاموا بخدمة مولاهم، وأخلصوا له في سرهم ونجواهم، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا. اغتروا بآداب الناس مع القوم وتسليم أحوالهم اليهم، وان أشكل ظاهرها وساء مشهدها، فخلطوا في الطريق ما ليس منه، وهم مخالفون في السيرة والسريرة لمن يدعون اتباعهم، ويزعمون انتحال نحلتهم، وانتحاء مناحيهم، ويحتجون على ناصحهم بالفاظ يقولونها، وكلمات يلوكونها، يشبهون فيها الظلمة بالضياء، ويشتبه عليهم الغرور بالرجاء، «يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله

يأخذوه، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ؟ ودرسوا مافيه، والدار الاخرة خير للذين يتقون أفلا يعقلون» دب اليهم داء الامم قبلهم فقسدت أخلاقهم، وخبثت أعمالهم، تحاسدوا على الاعراض البالية وتنافسوا فيها، وتباغضوا في الاغراض الخسيسة وتهالكوا عليها، تلامزوا وتنابزوا بالالقاب، وتباروا وتفاخروا بالانساب، وقلد الصادقين المدعي الكذاب، في جملة من الوسائل والاسباب، فتعسر التميز بين البرىء والمرتاب، الا على الافراد من أولى الالباب، وما كفاهم هذا الهبوط والسقوط، ولم يقنعوا بهذا الاعتداء والاستعلاء، حتى تسلقوا صرح العلو علوا وفسادا في الارض، فظن بعضهم بدين بعض وغض من طريقته أي غض، ابتغاء الفتنة وسفك الدماء، وطلبا للبأساء والضراء، فتبت يدا الجاهل، وزلت قدما العامل، فتدهور في هاوية الخسران، وانهار به الجدار في جحيم الخذلان، وما للظالمين من أنصار.

تلك قصة القادرية مع الرفاعية، أستغفر الله من ظلم أهل الطريق بل بعض المنتسبين اليهم قولا، المتخلفين عنهم تخلقاً وعملا، طبع للقادرية بعض كتب في مناقب الامام الجليل سيدي عبد القادر الجيلي (قدس سره) لم يذكر في بعضها نسبة الولي الشهير سيدي أحمد الكبير الرفاعي (قدس سره) لاهل البيت النبوي عند ترجمته اتباعا لجماهير المؤرخين، وذكر في بعضها اثبات تلك النسبة بعد نقل القول بنفيها، فطبع الرفاعية رسائل وكتبا عرضوا في بعضها بنسب الامام الجيلي، وصرحوا في بعضها بالقطع بانكاره، وبنسبة الشطح والادلال له استدلالا بهما على عدم تمكنه في الولاية، وأنكروا منقبة القدم، وأكثروا من الطعن في المؤلفين في مناقبه لا سيما العلامة الشطنوفي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صاحب كتاب بهجة الاسرار، فالف أهل هذا العصر من علماء القادرية كتابا سماه (الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين) وهو كتاب للرفاعية صرحوا فيه بما أشرنا اليه من المطاعن. أثبت هذا القادري في كتابه نسب السيد الجيلي بالنقول الكثيرة عن العلماء والمؤرخين، وتكلم في منقبة القدم واثباتها، ونقل بعض ثناء العلماء على الامام الشطنوفي، كل ذلك على سبيل الرد على ما في كتاب ترياق المحبين، وزاد على ذلك بعض فوائد ومواعظ مأثورة عن الشيخ عبد القادر رضي الله تعالى عنه، وانتقد بعض رسائل للرفاعية واعترض على أكلة الافاعي واللاعبين بالنار منهم

لم يمض على طبع هذا الكتاب زمن قصير حتى قام بعض الرفاعية بتلفيق كتاب أتي فيه بالعجب العجاب. أغرق بالطعن في طائفة القادرية وغلا غلوا كبيرا، فحكم بأن جميعهم من أهل البدعة، بل تهور فقال بكفرهم والعياذ بالله تعالى، وزعم انهم يتسترون بالدين، ويتظاهرون باتباع الطريقة القادرية غشا وخديعة للمسلمين، ليتمكنوا من افساد عقائدهم، وانهم دائبون في السير الى هذه الغاية، متفننون في التلاعب بالدين، واذية سيد المرسلين، وأرباب الطرق كافة، والرفاعية خاصة. ورتب على هذه المزاعم الباطلة انه يجب على المسلمين كافة والرفاعية خاصة ان يفرغوا الوسع باستئصالهم ومحوهم من وجه البسيطة نصرة لله ولرسوله وحفظا للدين القويم !!!

هذه أول سيئة لذلك الكتاب، سودت بها صحائف مقدمته ووراءها في قلبه فتن كقطع الليل المظلم، منها انه أناط ما نسبه من العظائم الى السادة القادرية بسيد منهم علي المكانة، رفيع المنزلة، قوي العصبية، معروف القدر عند عامة المسلمين وخاصتهم، وقد أكثر بعد ذلك من الحط عليه، وشنأه

بصراح المنكر من القول، بعد ماغالى في الطعن شنده امام العارفين الشيخ عبدالقادر برأه الله تعالى بما لم يسبقه على الجراءة بمثله سابق ، وأفرط في الجرح والايذاء لذريته المباركة ، حتى تعدى لمن أثنى على حضرته النزيهة ، وألف في مناقبه من أكابر العلماء — كل ذلك ليحض ذلك السيد وأتباعه ، ويحرض أنصاره وأشياعه ، على الخوض في تيار الفتنة وغشيان سوقها التي نصبها بالكلام السيء الذي يحرك الجماد ، ويلقي في أرض الدعة والسكون بذور الفساد . هذا بعد ماصرح في المقدمة بأنه ألف كتابه مرضاة لجماعته الرفاعية ، وانهم أجمعوا على طبعه ونشره ، وذكر من كثرة عددهم وقوة حزبهم ماأراد به اظهار استضعاف القادرية دونهم ، ليثبت بذلك تحقق العداوة والتضاد بين الفريقين ، ويبرزهما في صورة الخصمين المتنازعين ، فيسري سم دسيسته في أرواحهم ، وينفذ سهم فتنته من قلوبهم ، وتشب نيران الضغينة التي أوقدها في أفئدتهم ، فتنشب لها حروب داخلية ، يهي لها بناء الامة ، وينصدع شمل هيئتها المنشعب بحكمة المستوي على منصة الخلافة مولانا السلطان الغازي عبد الحميدخان ، الذي فاض معين سياسته وفضله فاستقى منه العمران البشري وروي نوع الانسان

وليته وقف عند هذا الحد ، الذي لم يدن نحوه قبله أحد ، فانه تعداه إلى الكذب على الله ورسوله بالخبط والخلط في أصول الشريعة وفروعها ، وعلى الاولياء والعلماء بنقله عنهم مانقطع ببراءة ساحتهم منه ، والحاقه بهم من مانجزم بطهارة اردانهم من التلوث به ، وتفضيله ابن الرفاعي عن جميعهم ولم يستثن الا أئمة الشيعة الاثني عشر دون الائمة المجتهدين ، بل نقل عن كتب فقهه مايقتضي مساواته للنبي صلى الله عليه وسلم في بعض الشؤون !!!

ومشاركته له في بعض خصائصه، الى غير ذلك من التلاعب في فنون العلم من غير روية ولا فهم، فما كان الا تبديل أحكام وزعزعة نظام

أتيح لي النظر في ذلك الكتاب في هذا العام عام ١٣٠٨ ثمان وثلاثمائة وألف . فكنت كلما تصفحت من صفحاته ، وتأملت جملا من عباراته ، تثابني من الغيرة على الدين لوافح الانفعال ، وتتناوبني من الحيرة في جرأة مصنفه لوائح الامتعاض ، فما أتيت على آخره الا وقد دقت في روعي روح الحق، وهتف بي هاتف الامانة الدينية والصدق : ان انهض ممتثلاً لقوله جل علاه (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) وانشأ كتابا يكون فرقانا بين الحق والباطل ، وبرزخا بين حلم الحليم وجهل الجاهل، يسلك في حسم النزاع بتحرير منازعه مهيع الصواب ، ويجري بحسب الاستطاعة مواقع الحكمة بفصل الخطاب ، يتهم مع الحقيقة وينجد ، ويصوب النظر حيث يرى الصواب ويصعد ، لا يميل مع أحد الريحين، ولا يتطرف الى أحد الطرفين ، فاستعنته تعالى على القيام بهذا العبء ، واستهديته الى اخراج هذا الخبء ، فوجدته مجيبا يلبي من ناداه ، قريبا يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ، ورتبت الكتاب على ستة مقاصد وخاتمة

{لها بقية}

www.alukah.net إحدى شبكة الألوكة

التعصب

(لحضرة الكاتب الشاعر صاحب الامضاء)

من تأمل بعين البصيرة في سير الامم والشعوب والقبائل والبطون والملل والاسر ، وما يستتبع ذلك من العز والذل والرفعة والسقوط والحياة والممات ، علم ان قائد الجميع ومدبر الكل والمحور الذي تدور عليه والروح الذي يبعثها من العدم ويجعلها في مصاف الامم هو (التعصب) وما أدراك ما التعصب ؟

لعل القارىء لاول وهلة يستغرب ذلك أشد الاستغراب حيث ان تلك اللفظة صورتها بعض الامم — التي ما قامت لها قائمة الا بها — بحيوان هائل المنظر ، ناشب الاظفار ، يبطش بكل من خالفه من بني الانسان ، وما ذلك التصوير الا لمآرب وغايات ، سوف تتضح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

ليسمح القارىء أولاً بتعريف تلك اللفظة ثم ليتدبر ما نشأ عنها ومن تركها من رفعة الامم وانحطاطها وعزها وذلها

التعصب رابطة تربط القلوب المتفرقة ، والآراء المتشتتة ، والاهواء المتباينة ، والوشائج المتقطعة ، الى أرومة واحدة ، تسقى بماء واحد في صعيد واحد

التعصب به حياة الامم الميتة ، وسعادة الشعوب المضطهدة ، ولولاه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ما قامت قائمة لامة من الامم ، ولا حفظ استقلال لشعب من الشعوب أو جنس من الاجناس

تأمل بالاسفار من لدن آدم عليه السلام ، تر ما قامت دعوة نبي من الانبياء الا اذا تعصب له من قومه من أدرك كنه الدعوى (؟) وذب عن حوزتها ، والا كان عرضة لاذاهم وعبثهم بما أتى به كما جرى لكثير من الانبياء

ان الانسان لا يعيش منفرداً ، فهو اجتماعي طبيعة ، تأمل لمَ لم يكن الكون تحت سلطة واحدة؟ لمَ لم تدخل انكلترا تحت حوزة روسيا أو لم لم يكن الامر بالعكس؟ لمَ لم تدخل فرنسا تحت حوزة ألمانيا أو لم لم يكن الامر بالعكس ؟ لمَ شعوب البلقان وما جاورها من العناصر دائما في نزاع؟ لم لم الخ

لمَ لم تكن الاديان وما يتفرع عنها من المذاهب واحدة ؟ لمَ لم يجتمع أصحابها الى دين واحد ومذهب واحد ؟ (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولكن ...)

أما وسر الاختلاف ، وما نشأ عنه من الحكم التي تحار فيها العقول ، ما فرق تلك الدول عن بعضها البعض (مع انها من دين واحد كما تزعم) الا التعصب لجنسيتها ، والتحيز لقبيلها وبالاولى لمذهبها ، تأمل بما وصل اليه الرومانيون والفينيقيون والعرب الاندلسيون والمصريون وسواهم ، بل وبما وصلت اليه أوربا الان من العلوم وما يتبعها من القوة والمنعة ؟ هل كان ذلك بالانفراد ، أو بالعصبية الجامعة للافراد ؟

تأمل بماذا جرت الحرب على بني الانسان ، هل باعث لذلك سوى

التعصب للطمع أو للاستيلاء أو لاهانة لحقت أو لدين من الاديان ؟

تأمل بما ذا نشبت حروب القرون الوسطى ، هل سبب لذلك سوى تعصب دين ... على دين ...

تأمل بما ذا اتفقت أوربا على روسيا في حرب القريم وعلى الدولة العثمانية في جملة مواقع أقربها حرب الروسيا الاخيرة وما تلاها من مؤتمر برلين ...

تأمل بما ذا أغرت بعض الدول الارمن والدروز والكريديين على العصيان ، واليونان على احتلال كريد بعد اعطائها الامتياز وتعيين المسيحي (جورجي باشا) وتنظيم الضابطة من طرف أوربا ، وما نتج عن ذلك من الحرب العثمانية اليونانية ، وتعصب الدول على عدم انالة الفاتح أرضاً كانت له!! الى غير ذلك في كون ان الدول ابتلعت جملة أراضي من الفاتح وغيره بمجرد وضع اليد أو الاغتصاب ، لا باراقة دماء واستنزاف أموال

تأمل لمَ لم تحل الى الان مسئلة كريد وجبل ثائريها متروك على غاربهم ؟

تأمل لمَ بعض الدول متشبثة بتعيين من حورب أبوه لاجلها ؟

تأمل لمَ لم تترك صاحبة الملك تفعل ما تريده من إعادة النظام عليها ؟

تأمل لمَ لم تترك تبدل عسكرها كما بدل غيرها ، كأن عسكرها ليسوا من الانسان وليس لهم أمل تفتت أكبادهم لرؤيام !؟

سبحانك اللهم ان هذا بهتان وظلم عظيم ، بل هو ليس من التعصب في شيء ...

تأمل لمَ إذا أرادت عمل شيء يعود عليها بالفائدة نصبت لها أوربا

العراقيل ورمتها بالتعصب ولا ترمي نفسها !

تأمل لمَ نشبت الحرب بين امريكا وأسبانيا الان، ولمَ أوربا قريباً متألبة على امريكا !

تأمل لمَ اتفقت أوربا على اليابان في حربها مع الصين، ولم اتفقت الان على ابتلاع الصين بطرق لم نسمع مثلها في آبائنا الاولين ؟

تأمل لمَ علائق روسيا وانكلترا الان على غير ما يرام

تأمل لمَ انكلترا طامحة بنظرها الى ابتلاع السودان، ومجردة عليه من جيوش المدن . . . لا التعصب . . براكين النيران، تأمل لم كانت الجرائد الاوربية وغيرها مختلفة النزعات متباينة المشارب، وكل يوم تنشب بينها الحروب القلمية بمقذوفات الافكار وسهامها، لا بمقذوفات المدافع ونيرانها، كل يدافع عن أهوائه، ويدعي العصمة لآرائه، هذه لسان حال البرنس فلان وهذه لسان اللورد فلان وهذه للمحافظين وهذه للاحرار وهذه للاشتراكيين وهذه للعملة وهذه للاسرة المالكة وهذه وهذه الخ

أقول والصدق خير ما يقال حبذا حبذا زمن التعصب حبذا حبذا تلك الايام التي مرت كأنها أحلام، أيام كنا والقول قولنا، والقوة قوتنا، والامر والنهي بيدنا، ومع ذلك لم نعبث بما كان تحت سلطتنا مما يخالف ديننا، ولم نتألب عليه بل عاملناه بمقتضى الشرع الذي يأمر بالعدل والاحسان لجميع بني الانسان (لهم مالنا وعليهم ما علينا) وكم حملت دولتنا من ملوك الدول المتألبة علينا الان مالا نطيل بذكره فانتثر بهذا الوقت عقد (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا — ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) سنة الله في الخلق (وتلك الايام نداولها بين الناس)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مثرنا ذلك العقد حتى لا يرمى منا أحد بالتعصب ، الذي به قوام الجامعة الدينية والدنيوية، فصدقت علينا هذه الجملة « تركنا الدنيا والدين حتى لا ندعى متعصبين »

أما وسر التعصب وما به من الاتحاد إن أوربا ما خلقت لنا تلك اللفظة وصورتها لنا بغير صورتها الحقيقية ورمتنا بها الا لتفريق شملنا، وتبديد كلمتنا، وتمزيق قوتنا، وحل رابطتنا الدينية، لتقوى على أخذنا بسهولة مما يعلم ذلك كله الخبير، وفي هذا القدر كفاية ولعلي أغتنم الفرص وأحدث بما يخطر لي من هذا القبيل والله الموفق (محي الدين الخياط)

(المنار) ان كلام الكاتب الفاضل في التعصب المطلق ، فيدخل فيه الديني والجنسي وقد ذكر من آثاره ماهو مذموم وماهو ممدوح ، يحتج ببعض ذلك على منفعة التعصب، وببعضه على تلبس أوربا به على اطلاقه، ومزج القول في ذلك مزجاً . ومما يؤخذ عليه فيه من جماهير علماء الدين قوله : ان دعوة الانبياء ما قامت الا بالتعصب ، وقد تبع في ذلك الحكيم الاسلامي ابن خلدون ، والجماهير يقولون ان الدعوة قامت بالتأييد الالهي، وانما الفتوحات التي اتسعت بها سلطة الدين هي التي قامت بالعصبية كما تقتضيه طبيعة الملك، ولعلنا نبسط الكلام في هذا الموضوع في فرصة أخرى والله الموفق وبه المستعان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ مقتطفات الجرائد ﴾

مثال للفرق بين أمة تحيا وأخرى تموت

كتبنا منذ أيام بضعة سطور في محليات المؤيد اشتملت على مثال يوضح بين حالتي التعلم والتعليم عند مسلمي ومسيحيي مصر، قياساً على احصاء مدارس وتلامذة الفريقين في مدينة أسيوط أكبر مدن الصعيد

والآن نريد أن نقدم مثالا من هذا القبيل أكبر من ذلك يوضح الفرق بين حالة الامة المصرية بحذافيرها، وحالة أمة أخرى في ولاية ممتازة بين ولايات الدولة العلية، وقد منحت منذ عشرين سنة الاستقلال الاداري الذي منحته مصر منذ ستين سنة وأكثر، ليرى القراء كيف تحيا أمة بازاء أمة تموت

ونعني بتلك الولاية الشبيهة بولاية مصر في الامتيازات وان كانت أحدث منها عهدا في الاستقلال الاداري ـ ولاية بلغاريا التي تجد السير في طريق الحضارة والترقي بواسطة تحصيل العلوم، وهي الواسطة الوحيدة التي بها حياة الامم وسعادتها

ففي صوفيا (عاصمة بلغاريا) كلية جامعة مؤلفة من ثلاث مدارس عليا، احداهن تاريخية فلسفية، والثانية طبيعية رياضية، والثالثة حقوقية

وفي الولاية ١٥٠ مدرسة للتعليم الثانوي (التجهيزي) منها ٨٥ للطلاب الذكور و٤٤ للبنات و١٤ للفريقين معا وست مدارس للمعلمين وواحدة حربية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما المدارس الابتدائية في الولاية فعددها ٤٤٨١ مدرسة، تنقسم كما يأتي: — ٣٠٧٩ مدرسة بلغارية أرثذوكسية و١٩ بلغارية كاثوليكية و٨ بلغارية بروتستانية و٢٥ بلغارية اسلامية و١٢٤٣ تركية و١٦ تاتارية و٢٩ يونانية و١٣ أرمنية و٢٧ اسرائيلية و٤ كاثوليكية و٣ فرنساوية و٢ رومانية وواحدة المانية وواحدة روسية

وتدفع الحكومة ثلثي نفقات ٣٠٧٩ مدرسة من هذه المدارس وهي المدارس البلغارية الارثذوكسية

أما الثلث الباقي من نفقات تلك المدارس الوطنية الملية فتقوم به مجالس البلديات في الولاية ، وأما بقية المدارس التي للمسلمين وغيرهم من المذاهب الاخرى وعددها ١٤٠٢ مدرسة فعلى نفقة أصحابها ومؤسسيها

وميزانية المعارف العمومية في الحكومة البلغارية مقدرة بمبلغ ٩١٨٨٥٦٠ فرنكا (عبارة عن ٣٦٧٥٤٢ جنيها انكليزيا)

وبما ان عدد سكان هذه الامارة حسب احصاء سنة ١٨٩٣ يبلغ ٣٣٠٩٨١٦ نسمة، فيكون مثل هذه الامة عنوان أمة تسير في طريق الحياة الحقيقية بعد ان عرفت كيف تحيا وتسعد

واذا ذكرنا تلقاء ما تقدم ان الامة المصرية يبلغ عددها عشرة ملايين الا ربعا أي نحو ثلاثة أمثال عدد بلغاريا الا قليلا، وان كل ما فيها من المدارس التجهيزية اثنتان ونصف بدل ١٥٠ وان كل ما تنفق الحكومة عليها نحو ١١٥ ألف جنيه بما في ذلك ما تتناوله نظارة المعارف من ديوان الاوقاف وغلة أرض موقوفة ، وأن أكثر هذه الميزانية ضائع على ثمن أدوات وكتب غير نافعة تستورد من أوربا، ومرتبات باهظة لاساتذة اكثرهم يجهل ما هو منوط

بتعليمه ، وأن عدد المدارس صار فضلا عن ذلك من الكثرة الى القلة ، بينما كيف يكون تقهقر الامم ومصيرها في خمود حركتها الى الموت والفناء

(المؤيد)

محاولة قتل الملوك

(منذ خمسين عاما)

في شهر يونيو عام ١٨٤٨ حاول شخص قتل البرنس دي بروس في لندن وذلك قبل ان يتولى عرش الامبراطورية الالمانية

وفي سنة ١٨٤٩ حاول هاملتون قتل الملكة فيكتوريا ، وفي شهر مايو عام ١٨٥٠ ضرب رجل اسمه روبرت بهات الملكة فيكتوريا بعصاه وهي خارجة من قصر الدوق دي كمبريدج

وفي ٢٢ مايو عام ١٨٥١ حاول فوضوي قتل فردريك غليوم في واتنر

وفي ٢ فبراير عام ١٨٥٢ طعن رجل اسمه مارتين مارتينوس الملكة ايزابل وهي تصلي في كاتدرائية مدريد

وفي عام ١٨٥٢ حاول ضابط انكليزي قتل الملكة فيكتوريا وفي تلك السنة دبرت مكيدة لقتل الامبراطور نابليون الثالث وهو ذاهب الى مرسيليا

وفي ١٣ فبراير عام ١٨٥٣ طعن خياط نمساوي اسمه لاريت الامبراطور فرنسوا جوزيف بمدية وهو سائر في فينا

وفي تلك السنة حاول طلياني قتل الملك فيكتور عمانوئيل والد الملك أمبرتو وحاول فوضوي قتل الامبراطور نابليون الثالث تجاه الاوبرا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي ٢٧ مارس عام ... اول رجل قتل الملك شارل الثالث في بارم

وفي شهر ابريل عام ١٨٥٥ أطلق ثوروي مسدسه على نابوليون الثالث وهو خارج للنزهة في شان اليزه

وفي ٨ سبتمبر عام ١٧٥٦ حاول فوضوي قتل نابوليون في بلامار

وفي ٢٨ مايو عام ١٨٥٦ قبض البوليس على رجل يتحفز لطعن الملكة ايزابل

وفي ٨ دسمبر عام ١٨٥٧ طعن جندي الملك فرديننند ملك نابل بحربة بندقيته

وفي ٤ يونيو عام ١٨٥٨ حاول أورشيني قتل نابوليون

وفي شهر يوليو عام ١٨٦١ أطلق أحد طلبة العلم في باد بارين ناويين على ملك بروسيا غليوم ولم يصبه

وفي عام ١٨٦٢ أطلق طالب عيارا ناريا على ملك اليونان فأخطأه

وفي ٢٤ دسمبر عام ١٨٦٣ حاول رجل قتل نابليون الثالث

وفي ٦ ابريل عام ١٨٦٦ حاول رجل اسمه كارا كوزوف قتل القيصر اسكندر في بطرسبرج ، وفي شهر يونيو من السنة ذاتها أطلق برزووسكي عياراً ناريا على القيصر في باريز فأخطأه

وفي سنة ١٨٦٨ قتل البرنس ميشال ولي عهد الصرب

وفي سنة ١٨٦٩ حاول شقي قتل الخديوي

وفي سنة ١٨٦٩ حاول شقي قتل نابوليون وهو خارج للنزهة في غابة بولونيا

وعام ١٨٦٩ حاول فوضوي قتل الملكة فيكتوريا

وفي عام ١٨٧١ كيد الشر للملك أميديه صاحب اسبانيا

وفي ١١ مايو عام ١٨٨٨ أراد المسمى هوديل قتل الامبراطور

إستفيد من شبكة الألوكة www.alukah.net

غليوم الاول ، وفي ٢ يونيو من السنة ذاتها أطلق بيلنغ عيارين ناريين على الامبراطور غليوم فأصابه

وفي ٢٥ اكتوبر عام ١٨٧٨ أطلق مونكازي على ملك اسبانيا مسدسه

وفي ١٧ نوفمبر عام ١٨٧٨ استل باسانتي مديته وأغار على الملك همبرتو ليطعنه

وفي ١٤ ابريل عام ١٨٨٩ هجم سولويف على اسكندر الثالث ليقتله وفي اليوم ذاته أغار شاب على البرنس ميلان (الملك ميلان) ليقتله

وفي دسمبر عام ١٨٨٩ تآمر النهلستيون على نسف قطار القيصر

وفي ٣٠ دسمبر عام ١٨٧٩ حاول فرنسيسكو اوتيرو قتل ملك أسبانيا والملكة قريبته

وفي ١٧ فبراير عام ١٨٨٠ ألقب الديناميت في قصر القيصر في بطرسبورج

وفي ١٣ مارس من عام ١٨٨٠ طعن القيصر اسكندر الثاني فتوفي على أثر جراحه

وفي ٢ يوليو عام ١٨٨١ أطلق رجل اسمه غيتو عيارين ناريين على الجنرال فارفيلد رئيس جمهورية الولايات المتحدة فأصابه وتوفي الجنرال من جراحه

وفي شهر مارس عام ١٨٨٢ اطلق رودريك عيارآ ناريا على الملكة فيكتوريا فلم يصبها

www.alukah.net

وفي ٢٤ يونيو عام ١٨٩٤ قتل كازيريو المسيو سادي كارنو رئيس جمهورية فرنسا في ليون

وفي ابريل عام ١٨٩٧ هوجم الملك همبرتو

وفي ٨ أغسطس عام ١٨٩٧ قتل المسيو كانوفاس

وفي ١٠ سبتمبر الجاري عام ١٨٩٨ قتلت امبراطورة النمسا في جنفا فتكون هذه الامبراطورة هي الملكة الوحيدة التي فتكت بها يد الفوضوية لانها لم تكن تصدق بان شقيا كقاتلها ينظر اليها بسوء وهي أم كل فقير وأخت كل فاعل وعامل (الاخبار)

﴿ حرية الاديان في الدولة العلية ﴾

جاء في جريدة محمدان الهندية ما ترجمته :

حصلت مشاحنة في سالونيك بأراضي الدولة العلية بين جماعة من اليهود الاسبانيين وبين جماعة من البرغال فأتى الاتراك في الحال الى محل الواقعة وانتصروا لليهود حيث كان الحق في جانبهم وهذه المشاغبة كانت ناشئة من احقاد سيئة بين الفريقين من زمن مديد . وقد نشرت هذه الحادثة على أثر ذلك في أعمدة جريدة « جويش كرونكل » وليس من الضروري ان نأتي على نصها ، لكنه يهمنا ان نقتطف منها ما له علاقة بالدولة العلية من حيث الاديان وهو : « لا يوجد بلد واحد في أوربا على وجه الاجمال يتمتع فيه اليهود بنعمة الحرية الدينية التامة كما يتمتعون بها في أرض الدولة العلية ، ولا يمكن أن يجدوا من الارتياح وحسن المعاشرة كما

يجدون في ظل الحكومة العثمانية، فحكومة السلطان — والحق يقال — ساهرة على راحتهم، ولديهم الادلة القاطعة على ذلك خصوصاً أيام الحرب العثمانية اليونانية الاخيرة » اه نقلا عن جويش كرونكل «الرائد الاسرائيلي» الصادر في ١٠ يونيو سنة ١٨٩٨

﴿ انكلترا وفرنسا في السودان ﴾

أرسل سعادة السردار بعد فتح أم درمان والاستيلاء على الخرطوم سرية بحرية مؤلفة من المدفعيات النيلية التي لديه وأمر عليها هنتر باشا وسيرها في النيل الازرق لاحتلال القضارف وقتال أحمد الفضيل . وسار السردار نفسه بسرية مؤلفة من فرقة (أورطة) سودانية ومئة جندي انكليزي والمدفعية التي خصصها لذلك لاجل الاستيلاء على فشوده واخراج مرشان الفرنسوي وسريته منها . أما السرية الاولى فقد استولت على القضارف، وهي بلاد خصبة بالقرب من بلاد الحبشة، وكان أشيع ان الاحباش احتلوها مدعين انها لهم، ولذلك كان السردار أصدر أمره لبرسونز باشا محافظ سواكن بأن يرسل حامية كسلا لمساعدة السرية، والقضارف في جنوبي كسلا، وقد حصل بين المصريين والدراويش معركة قتل فيها من الاولين احد عشر جندياً، وجرح اثنان وثمانون وقتل من الآخرين خمسمائة درويش

وأما السردار وسريته فقد وصلوا الى فشوده، وطلب من مرشان الفرنسوي أن يأتي القطر المصري قيل أو أم درمان، فأجابه بانه احتل فشوده باسم الحكومة الفرنساوية فلا يغادرها الا بامر منها . فانشأ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السردار في المحال موقفا عسكريا في جانب فشوده ورفع عليه الرايتين — الانكليزية والمصرية — ورجع ادراجه، وظهر للناس أن إرجاف الجرائد الانكليزية وزعمها بان السردار يخرج مرشان من فشوده طوعا أو كرها من تقريرها وايهامها المعهود مثله من الانكليز، نعم انهم يفعلون ذلك مع المستضعفين

يحقق الآن في جو فشوده ثلاث رايات : راية شرعية وهي المصرية العثمانية ، واخريان طلسمتان وهما الفرنساوية والانكليزية ، واجتماعهما هو الذي فتح باب المسألة السودانية بل والمصرية كما صرحت بمقتضى ذلك الجرائد الفرنساوية من قبل ، فان تم الفلج لبريطانيا وألقيت اليها مقاليد مصر والسودان وأقرت على السيادة على وادي النيل كله، تحقق أماني سسل رود وتملو انكلترا على أوربا كلها علواً كبيرا ، يصح أن يقال فيه ، لبريطانيا العظمى الحياة السعيدة والعز والرفعة ، ولاوربا الصغرى الغباوة والبلادة، ولفرنسا الحقيرة الجهل والحمق والطيش والتعصب الاعمى، ولتركيا المظلومة السقوط من عداد الدول بل ماهو أعظم والعياذ بالله تعالى

الاتحاد (*)

ملخص خطاب كان القاه منشئ هذه الجريدة (المجلة) في منتدى حافل بعلماء طرابلس الشام وحكامها ووجوهها أيام كان فيها لمناسبة اقتضت ذلك

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾

الاتحاد والالتئام حياة للهيئة الاجتماعية بها قوامها، ومحور لسعادتها

(*) فاتحة المد دالتاسع والعشرين الصادر في ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣١٦

الصورية والمعنوية عليه مدارها، الاتحاد والالتئام في الامة كالفصل المقوم في الهيئة النوعية فمن شذ عن الاتحاد من افراد الامة يعد خارجا منها وينبغي أن يحرم من حقوقها، كما ان فاقد القوة الناطقة من آحاد النوع الانساني يعد منسلا من الانسانية لاحقا بالعجماوات. الاتحاد والالتئام في المجتمع الانساني كالجذب والانجذاب في العالم العنصري من حيث التكوين والانتظام، أما الاول فكما ان الله تعالى فتق رتق الهباء الاول بناموس الجاذبية العامة، وسوى منه الاجرام السماوية والكرة الارضية - ولولا ذلك لكانت هباء منبثا - كذلك يؤلف الله تعالى الامم والدول بناموس الاتحاد والالتئام العام، ولولا ذلك لسعي كل شخص في محيط نفسه، فلا يكون الاهنية حتى تنقرض الامة ويمحي اسمها من لوح الوجود، وبمقتضى هذا الناموس يفهم سر «من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا» ويجدر أن يسمي العامل أي عمل ينفع الناس خادم الانسانية، والجاني على أي فرد من أفرادهم جانيا على الآدمية، وبهذا الاعتبار يتبين ان العالم والحاكم والزارع والصانع والتاجر والناظر كلهم أكفاء، وفي درجة واحدة، وان كانوا يتفاضلون باعتبار آخر

وأما الثاني فكما انه بمقتضى الجاذبية ثبت كل كوكب في مركزه، وحفظت النسبة بينه وبين سائر الكواكب بتقدير العليم الحكيم، كذلك بمقتضى الاتحاد والالتئام يقوم كل فرد من أفراد الامة بالعمل الذي يحسنه، ويحفظ النسبة بينه وبين سائر أفراد الامة من الحقوق والواجبات التي تأمرها الشريعة العادلة «صنع الله الذي أتقن كل شيء» فلو نزع

روح الاتحاد والالتئام من نفوس الناس لرزؤا باختصام واصطدام كما تتصادم اجرام الكواكب، لو فقدمنها الارتباط الالهي المعبر عنه بالجاذبية لظلوا في مباغضة ومناصبة، ومناهضة ومواثبة، حتى يأذن الله تعالى بانقراضهم وما ذلك من الظالمين ببعيد

فضيلة الاتحاد والالتئام، والوفاق والوئام، هي أقدس السجايا، وأنفس المزايا، رغيبة تنبعث عن المحبة والالفة، وتبعث على القيام بالمصالح العامة، مع الاتصاف بالاخلاق الفاضلة، وتلك غاية الغايات المشار اليها بحديث «بعثت لاتمم مكارم الاخلاق» .

لاجرم ان صدق المحبة والالفة للناس الكافل لحصول الغرض المطلوب، لا يتأتى الا بمشعور المرء بأن مجموع الامة كالشخص الواحد، وان كل صنف من أصناف العاملين فيها كعضو رئيسي في البنية الشخصية، وان تفاوت الاصناف في المظاهر والرتب في النظر العام، لا يخرجهم عن كونهم اكفاء متساوين في المزية تجاه الهيئة الاجتماعية، كما ان تفاوت الاعضاء الوضعي في تركيب البنية لا يوجب تفضيل العينين على القدمين بالنسبة للمصالح الشخصية، لعلو تينك وتسفل هاتين، لان الكمال الاجتماعي والشخصي وارتاز مزاياهما متوقف على كلا الامرين على السواء . ولا التفات لاهل البطالة المتكبرين بالاوهام حيث يحتقرون الصناع والزراع فانما مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير، والنسبة بينهما كالنسبة بين الايدي والارجل، وبين زوائد الاظافر والشعور لو كانوا يعقلون

لست أعني بالشعور بما تقدم ان يمر في التصور أو يقع في الذهن، فان ذلك لا يغني شيئا، وانما أعني أن يكون أمرا وجدانيا، وملكة نفسانية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

راسخة في النفس ، تزع المرء على العمل ، وتكبه على مزالق الزلل ، ولا وسيلة لهذا الا التربية العملية ، والتهذيب على أصول الحكمة الدينية العقلية ، بنشر المعارف الصحيحة بين جميع طبقات الأمة ، وتلقينها للاحداث من الذكران والاناث ، وغشها في ألواح نفوسهم من أول النشأة ، لتثبت فيها ملكات الفضائل ، وتقف بحب الذات الذي هو علة العلل للشقاء موقف الاعتدال ، فيسلكون في أعمالهم صريح العدل الذي هو مركز دائرة الكمال ، ومدار فلك الفضيلة ، ومبدأ السعادة الحقيقية بشهادة «اعدلوا هو أقرب للتقوى - واقسطوا ان الله يحب المقسطين »

ولقائل أن يقول ان العلم غير العمل كما أشرت ، فتلقين الاحداث المعارف ليس كافلا تهذيبهم ، فلا بد من مراعاة شيء آخر يساعد المعارف على التهذيب ، ويمد التربية العملية وينميها ، حتى تؤدي الى الغاية المقصودة منها ، فانا نرى كثيرا من الناس يعنون بتربية أولادهم ولا تنجع فيهم التربية ، كما نرى الكثير من حملة العلم بعداء عن التهذيب ، فما هو الامر المساعد للتربية والتعليم على هداية الصراط المستقيم ؟ والجواب : ذلك هو «التشبه والاقتداء » والكلام فيه طويل الذيل متدفق السيل . واني أقتصر منه على كلمة تقتضيها الحال ، وتمد الزيادة عليها من الارغال [1] ، وهي ان الانسان مولع بالاقتداء بالكبراء والعظماء ومحاكاتهم ، فالحالة التي يكون عليها الامراء الجالسون على منصات الاحكام ، والشيوخ المتصدرون لارشاد الانام ، لها تأثير عظيم في نفوس السواد ، فاذا كان هؤلاء الرؤساء متصفين بجميل الوفاق والوئام ، أثرت حالتهم في المرؤسين

(١) الارغال : وضع الشيء في غير موضعه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أثرا محمودا، وتضاعف نفوذهم الحسي والروحي بالحق تضاعفا مبينا، وفي ذلك من التقدم الديني والمدني ما ينهض بالاوطان، ولا يرتاب فيه الا الصبيان.

« بقية الخطاب كلام خاص لا فائدة في نشره »

﴿ التشبه والاقتداء ﴾

يعلم الناظرون فيما نكتب ان التشبه بالاوربيين في ازيائهم وعاداتهم قد جرى في الشرق جريان الدم في العروق، فأبناء الدنيا يرونه في ذلك شرفا ورفعة، والمتنصرون للدين يرونه ذنبا وبدعة، وغلوا في ذلك حتى ذموا تقليد المخالف في كل شيء وان كان نافعا مفيدا، ولكن لما كان الامراء والكبراء يتفاخرون ويتبارون في التشبه بالافرنج وهم موضع اجلال الدهماء وتعظيمهم صار سائر الناس يتقدم في ذلك، لان ناموس التقليد مطرد باحتذاء الملازم الناس وأدناهم، مثال عليتهم وكبرائهم، وسرت العدوى في ذلك لبيوت العلماء ورجال الدين، وقد ذكرنا في كتابنا (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية) جملة مسببة في التقليد والتشبه، بينا حكمه من الجهة الدينية والسياسية، واننا نذكر هنا نبذة منها تتعلق بأصول سياستنا المناسبة لما مر وهي:

اذا نظرنا الى التقليد والتشبه من طرف السياسة تجلى لنا أن الصواب امتناع أمتنا عن التشبه أو التقليد لغيرها من الامم في الازياء والعادات وكل مالا فائدة فيه لاسيما المناصبين والمعادين لنا والاتداب لتقليدهم في كل مايعود علينا بالمنفعة وعلى الخصوص المنافع التي تتعلق بالقوة على التغلب، والدفاع عن الحوزة، وبتوسيع دائرة الثروة، بأن نجتهد بمجاراتهم ومباراتهم بل بمنافستهم ومسابقتهم الى أصول المنافع ومقدماتها وأسبابها، لا اننا نقتصر

على اجتلاب نتائج صنائعهم وأعمالهم، كالآلات الحربية والبوارج البحرية، اذ تقليدهم في النتائج باتخاذها منهم واحتذائهم فيها، لا يخرجنا عن كونا عيالا عليهم، ولا يرجى ان ندانيهم ونقاربهم فضلا عن أن نساهمهم ونحاذيهم، فضلا عن أن نساميهم فنسموهم ونبذهم (نغلبهم) لاسيما ونحن الآن كما ترى هذا ذيك بذاذيك ولا كفران لله

وأما أخذ العلوم والفنون وأصول الصنائع عنهم فلا محذور وراءه، ولا محظور امامه، ومن هي في أيديهم الآن من أهل المغرب أخذوها منا فهذبوا ونقحوا واستنبطوا، وكنا أخذناها من غيرنا فهذبناها ونقحنا. ثم لم نصل الى مداهم وغايتهم التي انتهوا اليها الآن في استثمارها واستدرار ضروع انعامها، ولا نيأس من روح الله في السبق عند الكرة الاخرى « وتلك الايام نداولها بين الناس » ولا التفات لسفهاء الاحلام، المستغرقين في أودية الاحلام، حيث يغمزون الناظرين في تلك الفنون ويلمزونهم، ولا شبهة لهم الا ان من تنقل عنهم ليسوا من المسلمين والخطب سهل، فقد روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم انه قال (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها) رواه الترمذي عن أبي هريرة، ورواه العسكري عن أنس مرفوعا بلفظ (العلم ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها) وفي رواية عند القضاعي انه قال آخر الحديث (حيثما وجد المؤمن ضالته فليجعلها اليه) وروي عن ابن عمر {رض} موقوفا عليه انه قال : خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت

وفي نهج البلاغة ان أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه قال : خذ الحكمة انى كانت، فهي الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج من صدره

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حتى تخرج فتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن) وقال أيضا (الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق) واستدل بعض أهل العلم على مشروعية طلب العلم من أي طريق كان، بحديث (اطلبوا العلم ولو بالصين) في زمن لم يكن يسكن الصين فيه غير أصناف المجوس، والحديث اخرجه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الايمان والمدخل وابن عبد البر في العلم والخطيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس وغيرهم وله طرق كثيرة يقوي بعضها بعضا. ولا غرو فان شرعا أساسه الحكمة، ودعامته الفضيلة، وغايته سعادة الدارين والظفر بالحسنيين — يأمر بسلوك الجادة ، وعدم الاعتكاف عن الاستفادة ، وهذه كتب اعلام الملة فى تفسير الكتاب الكريم وشرح الحديث الشريف والتصوف والادب والتاريخ محشوة بكلام حكماء اليونان الذين نقلت علومهم الى الامة، وحكماء الفرس الذين خالط أمتهم العرب، وبحكايات أحوال عباد بني اسرائيل ورهبان النصارى ما استحسن منها (بل وما لم يستحسن لكنه لا حجة في هذا)

ولقد كان الشارع صلى الله عليه وسلم يعجبه كلام بعض المشركين ويعجب به، وكثيرا ما كان يستنشد شعر أمية بن أبي الصلت ويستزيد حتى أنشد مرة مائة قافية . أخرج مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت النبي صلى الله عليه وسلم فقال (هل معك من شعر أمية شيء ؟) قلت نعم قال هيه فأنشدته بيتاً فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت فقال (ان كاد ليسلم) . ولو أردنا الاطالة لاوردنا ما لا يحصى من النصوص على لزوم الاخذ بهذه الفنون التي هي مبدأ الصنائع . ناهيك ان الركن الركين للمحافظة

على الدين ونشر تعاليمه الصحيحة بين المخالفين هو الجهاد وهو يتوقف في هذا العصر على الفنون المذكورة وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب . ولكن الجهل الذي عم في هذا الزمان وطم ، والاغراق في التعصب على المخالف من غير روية ولا فهم ، وعدم معرفة مقاصد الشرع ، وانتفاء الوقوف على طرائق الضر والنفع — يحمل كل ذلك الرعاع من أبناء هاته الايام ، على رشق من ينسب لحكماء الفرنجة علما أو فعما بسهام الملام ، وربما طعنوا في دينه وهم ليسوا في ذلك على دين ، ولا تنهض لهم حجج قيمة ولا يأتون بسلطان مبين « أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها !! فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »

وحاصل القول ان جملة ما يتأتى به التقليد والاحتذاء ينحصر في ثلاثة امور (الاول) الفنون والصنائع المفيدة وهذا ربما يصل طلب التقليد فيه الى الوجوب الشرعي وذلك كالفنون التي تتعلق بالقوى الحربية والصحة الجسدية وسائر مالا يستغني عنه العمران ولا وصول اليها أولا الا بالتقليد والاقتباس . (الثاني) مالا نفع فيه ولا ضرر منه والاولى تركه وان كان مباحاً وان لم يكن بد من فعله فينبغي أن لا يلاحظ التشبه بهم ولا يتوخى احتذاؤهم فيه . (الثالث) مافيه ضرر لنا والحكم الشرعي في اتيان المضرات المحققة الحرمة ، والمظنونة الكراهة . وهناك شبهات يخشى ضررها ولا يرجى نفعها ، وربما لا يظهر ضررها الا باستعمال السواد الاعظم لها ، لا الآحاد والعشرات مثلا ، أعني بهذا التهافت على استعمال أدوات الزينة والترف الغالية الاثمان وهم في كل آونة يخترعون لنا زيا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويبتدعون لنا طرزاً جديداً يبطلون به ماسبقه ونحن نتلو تلوم ونحتذي شاكلتهم في نضد العقار ١ والدياسق ٢ والفواتير ٣ والجفان ٤ والزلح ٥ والقعون ٦ والصحاف ٧ والسكرجات ٨ والاباريق والسعوف ٩ والورسيات ١٠ والاكواب ١١ والسوملات ١٢ والبهار ١٣ والكؤس والمثابن ١٤ والعكوم ١٥ والعتائد ١٦ والخناجيد ١٧ والسرر المرملة ١٨ والمنصات ١٩ والارائك ٢٠ والنمارق ٢١ والزرابي ٢٢ والكراسي والشجاب ٢٣ والندن ٢٤ والمصابيح والزهريات وسائر الآنية والملاعون النفيس وفي التهاويل ٢٥ والاكاليل ٢٦ والمناجد ٢٧ والمناطق ٢٨ والكباش ٢٩ والاسورة والخواتيم وجميع أصناف الحلي البديع وفي القنازع ٣٠ والعمارات ٣١ والغواشي ٣٢ والكلل ٣٣ والظلل ٣٤ والسجوف ٣٥ والشفوف ٣٦ والرياط ٣٧ والخميل ٣٨ والقطائف ٣٩ والاقمية ٤٠ والحصير ٤١ والنهية ٤٢ وأبي قلمون ٤٣ والخفاف ٤٤ والتساخين ٤٥ والجوارب ٤٦ والكوث ٤٧ والقفاز ٤٨ وغير ذلك من أنواع اللبوس والنسيج . يتخذ ذلك أولا المتطرسون المتطرزون في الملبس والمأكل والمشرب، من أهل النفع والثراء للزينة والتفاخر والتكاثر والخيلاء، فتتسم به دائرة السرف والترف ويسري سمه في روح الامة فيهب الموزون للتقليد وتجنح نفوسهم للانفاق، « التمم بعد البؤس » وتعدم الصبر على حالة الاملاق، لا سيما أرباب المظاهر الذين منحهم صفتهم نظر الاعتبار، وحالتهم في الاشتهار، لا تساعدهم عليها حالتهم في الديار، فتستتم العواطف الشريفة، وتفسد السرائر والضمائر الصادقة، وتعتل الافكار الصحيحة، وتتلبب على أفراد الامة الاثرة، ويستحوذ عليهم الضعف ويكون مآلهم شر مآل

من نواميس الكون وسنة الله تعالى في الخلق ان الاسترسال في الترف والتوغل في الرفه والانغماس في التنعم مبدأ لانحلال الامم ، وعلة لسقوطها في هاوية العدم ، اذا لم يقترن ذلك بعلم وتربية يكونان علاجا لابنائها، يقيهم أمراض تلك الصفات وأدواءها ، ولقد كان سلف الامة الذين تتجلى بهديهم كل غمة متيقظين لعلل الترف وأدوائه ، محذرين من فتنته وبلائه

هل أتاك حديث عمر بن الخطاب اذ كتب الى عتبة بن فرقد الذي أمره على جيش العجم « ياعتبة بن فرقد انه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك فاشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك (انظر كيف أمره بمساواة الجيش وهو أميره) واياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبوس الحرير قال : الا هكذا ورفع لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أصبعيه ، رواه مسلم قال الامام النووي وقد جاء في هذا الحديث زيادة في مسند أبي عوانة الاسفراييني باسناد صحيح قال «أما بعد فإتزروا وارتدوا وألقوا الخفاف والسراويلات وعليكم بلباس أبيكم اسماعيل واياكم والتنعم وزي الاعاجم وعليكم بالشمس فانها حمام العرب وتمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب وابرزوا وارموا الاغراض » قال النووي ومقصود عمر رضي الله تعالى عنه حثهم على خشونة العيش وصلابتهم في ذلك ومحافظتهم على طريقة العرب في ذلك اه

قلت يعني انه خشي ان يضعفوا عن الجهاد اذا هم أخلدوا الى التنعم الذي يستدعي حب الراحة لان كل واحدة من هذه الاشياء التي نهاهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عنها محرمة أو مكروهة لكونها من زي العجم، كيف وقد كان النبي وأصحابه يلبسون الطيالسة الكسروية وغيرها من لبوس العجم حيث كانوا في مأمن من الاستمراق في الترف الذي خشيه عمر على جيشه بسبب مخالطة الاعاجم والاستئناس بأزيائهم وأحوالهم الذي ينتجه تكرار النظر . ومما نهاهم عنه الخف والسراويل وكانوا يلبسونهما في الحجاز بلا نكير الخ

***

﴿ تفسير الكلمات الغريبة ﴾

(١) النضد محركة : يطلق على خيار الشيء ومن معاني المتاع بالفتح متاع البيت، ونضد المتاع ما يستعمل في مثل أيام الاعياد ٢ الدياسق: الاخونة من الفضة واحدها ديسق بفتح فسكون ٣ الفوانير الاخونة من رخام أو ذهب أو فضة واحدها فانور ويقال للخوان في العرف اليوم مائدة وهو مأخوذ من الافرنجي ٤ جفان ج جفنة وهي أكبر القصاع ٥ الرغ بضمتين الصحاف الكبار ٦ القعود الجفان التي يعجن فيها مفردها قعن بالفتح ٧ قالوا أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكلكة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة «بالتصغير» تشبع الرجل الواحد وقالوا الصحفة قصعة مسلطحة أي متسعة عريضة تشبع الخمسة ٨ السكرجات آنية صغيرة توضع فيها الكوامخ المحرشة على الطعام وفي حديث الترمذي ما أكل (صلعم) في سكرجة وهي بضم السين والكاف والراء المشددة ٩ الصوف الافداح الكبار وقيل أمتعة البيت وخصها بعضهم بالمحقرات كالدلو والتنور ١٠ الورسيات جمع ورسي ضرب من أجود أقداح النضار ١١ الاكواب ج كوب وهو قدح لا عروة له وتسميه العامة اليوم كباية ١٢ السوملات

جمع سومة وهي الدجاجة الصغيرة تشرب اليوم فيها قهوة البن ١٣ البهار بالضم انا ء كالابريق ولعله يصح اطلاقه على ما نسميه اليوم ركوة ١٤ المثابن ج مثبنة بالفتح تضم المرأة فيه مراآتها وادواتها ١٥ العكوم ج عكم بالكسر وهو نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها ١٦ العثائد ج عثيدة حقة يكون فيها طيب الرجل والعروس ١٧ الخناجيد ج خنجود بالضم وهو كالخنجرة والخنجور السفط الصغير وقارورة طويلة للنشيرة ١٨ السرر المرملة هي المزينة بالجواهر أو غيرها ١٩ المنصات بكسر الميم ج منصة كرسي ترفع عليه العروس لترى من بين النساء من نص الشيء اذا رفعه وأظهره فهي اسم آلة والمنصة بالفتح الحجلة وهي الموضع المزين بالفرش الموطأة والثياب المرفعة للعروس جمع حجل بالتحريك وحجال بالكسر ، ونص العروس أقعدها على المنصة فانتصت ٢٠ الاريكة سرير في حجلة أو مطلقا أو كل ما يتكأ عليه من سرير أو فراش أو منصة أو سرير منجد مزين في قبة أو بيت فاذا لم يكن فيه سرر فهو حجلة، وارّك المرأة تأريكا سترها بها ٢١ النمرقة والنمرق بالضم ويثلثان الوسادة الصغيرة أو الميثرة أو الطنفسة ٢٢ الزرابي ج زربي بالضم والكسر وهو البساط أو كل ما فرش واتكيء عليه ٢٣ الشجاب ككتاب اسم لخشبات منصوبة توضع وتنشر عليها الثياب ج شجب ككتب ومثله المشجب قال في التاج وهو عيدان تضم رؤسها ويفرج بين قوائمها وتوضع عليها الثياب وقد تعلق عليها الاسقية لتبريد الماء ويصدق على ما يسمونه اليوم في مصر شماعه

٢٤ الغدان ككتاب أيضا القضيب الذي تعلق عليه الثياب ج غدن ٢٥ ج تحويل وهو زينة التصاوير والنقوش والوشي والثياب والحلي والسلاح يقال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هولت المرأة تهويلا اذا تزينت بحليها ولباسها والتهاويل الالوان المختلفة ولعله الاصل ٢٦ ج اكليل وهو التاج وشبه عصابة ترصع بالجواهر ٢٧ ج منجد كمنبر حلي مكلل بالفصوص وهو قلادة من لؤلؤ أوذهب أو قرنفل في عرض شبر يأخذ من العنق الى أسفل الثديين يقع على موضع النجاد ٢٧ ج منطقة كمكنسة وهو كل ما تشد به وسطك كالنطاق والمنطق (ككتاب ومنبر) وانتطق وتنطق شد وسطه به ٢٩ الكبائس ج كيس وهو حلي مجوف محشو طيبا ٣٠ القنازع ج قنزعة وهي كما في القاموس التي تتخذها المرأة على رأسها ٣١ العمارة بالفتح كل شيء يضعه الرئيس على رأسه من عمامة أو قلنسوة أو تاج أو غيره وليس هذا مما تحتذي فيه رجالنا الافرنج أما النساء فقد احتذين مثال الاوربيات في كل شيء بحسب استطاعتهن ٣٢ الغشاوة (مثلثة) والغاشية الغطاء بانواعه منها للآنية ومنها للثياب وهي الآن كثيرة جدا ٣٣ الكلل ج كلة بالكسر وهي الستر الرقيق يخاط كالبيت يتقى به البعوض وتسميها العامة ناموسية ويسمون البعوض أو نوعا منه ناموسا ٣٤ الظلل ج ظلة بالضم وهي كالمظلة ما يستظل به من الشمس ويصدق على ما تسميه العامة شمسية ٣٥ ج سجف بفتح أوله وكسره وسجاف (ككتاب) وهو اسم لسترين مقرونين بينهما فرجة وهو المسمى عند العامة برداية ويقال سجف الستر اذا أرسله ٣٦ الشفوف الثياب الرقيقة واحدها شف بالفتح ٣٧ الرياط والربط ج ربطة (بكسر الاول وفتح الاخرين) وهي كل ملاءة غير ذات لفقين (أي قطعتين متضامتين) كلها نسج واحد وقطعة واحدة أو كل ثوب لين رقيق ٣٨ الخميل الثياب الخملة يقال أخمل القطيفة أي جعلها ذات خمل (بفتح

فسكون) وهو وبر وزغب يكون في وجه النسيج كالهدب الدقيق يقال للثوب منه خملة وخميلة ٣٩ جمع قطيفة وهي دثار مخمل وفي التاج عن بعضهم هي كساء مربع له خمل ووبر ٤٠ جمع قباء (كسحاب) ضرب من الثياب عربي أو معرب قال في محيط المحيط هو الذي تسميه العامة بالقنباز . وتقباه لبسه وهو ليس مما نقلد فيه غيرنا الا بتركه ٤١ الحصير ثوب مزخرف موشى اذا نشر اخذت القلوب مأخذه لحسن صنعته ٤٢ النهنه الثوب الرقيق النسج وأنواعه كثيرة لا سيما في هذه الايام ٤٣ أبو قلمون (بالتحريك) ثوب رومي من ابريسم يتلون ألوانا وتسميه العامة عندنا خاره ٤٤ جمع خف وهو معروف ٤٥ التساخين المراجل والخفاف وشيء كالطيالس بلا واحد أو أحدهما تسخن «كجعفر» وتسخان ٤٦ الجوارب والجوارية ج جورب اسم لنسيج يلبس في الارجل ويسميه المصريون شرابات والسوريون قلاشين ٤٧ الكوث بالفتح نوع من الخفاف الصغار ويقال له فقش بالفتح وأصل هذا فارسي قيل والاول أيضا وهو يصدق على ما تسميه عامتنا سرموجه ٤٨ القفاز شيء يلبس في الكف ويزر على الساعدين وربما لا يزر وهما قفازان . وبعض ماذكر له أسماء عند العامة مأخوذ من اللغات الاجنبية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ مقتطفات من الجرائد ﴾

(العادات المصرية)

ثلاثة تشقى بها الدار العرس والمأتم والزار

مضى الكلام على العرس والمأتم وهما آفتان من آفات الجمعية المصرية سالبتان للاموال جالبتان للاحزان ، وبقي الكلام على شر الثلاثة وهو الزار . ولا تجد في مفردات اللغة كلمة تفي ببيان ضرره وشره بل ولا جملة تكفي لايضاح ما يجمع من القبائح والفضائح، وكفى به عارا أن تكون المخدرة مطية من مطايا الجن . ولو اجتمع جماعة من المجانين في مكان لما بلغت غوغاؤهم معشار ما يحصل في مجلس الزار من الصياح والجلبة، ولو اجتمع في المستعطف المستميح ما تظهره السيدات الاميرات المترفعات المتكبرات من الخضوع والخشوع والذلة والمسكنة أمام شيخة الزار أو كودية الزار لكفى لانعطاف أشد القلوب قسوة، ولو حسب ما ينفق على الزار من سائر الطبقات وما يصاغ له من الحلي من الذهب والفضة في مدة قصيرة لبلغ مبلغاً يمكن أن تشاد به مدرسة للبنات من أعظم المدارس يخرجن منها متعلمات مطهرات من أدران هذه المفسدة الشيطانية ، ولو تنبهت المشيخة الازهرية الى الاعلان بتحريم هذا الزار وتفسيق من يعين عليه وتبكيت من يرضى به لأهله لكتب لها به عمل صالح ، ولكن بعض علمائنا الاعلام وجها بذتنا العظام يرون أن وظيفتهم العلمية تزول بمثل الاعتراض والتنديد على من يدخل المسجد برجله اليسرى مثلا وما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لهم ولما يكدر خواطر الكبراء ونساء الامراء ولا يكلف الله نفسا الا وسعها، ولو امتنع الرجال عن الاتفاق على الزار لكان أجدر وأحرى بمن يطيع الشرع والعقل ويخالف الشيطان والمرأة ولكن المصيبة كل المصيبة أن ينتهي أمر المرأة مع الرجل بعد تسخيره الى تخييره، فقد سمعنا عن كثير ممن يجلهم الناس ويعظمونهم انهم قد طأطأوا رؤوسهم الى الكودية تبخرهم وتناجي عفاريتهم.

والله لولا أن يعاقب صاحب ... ويقول بعض القارئين تعمدا
لذكرت أسماء عظيما قدرها ... تخذت لها ورد الضلالة موردا

واحكم ما جرى على لسان أحمد بن الحسين قوله

ولم أر في عيوب الناس شيئا ... كنقص القادرين على التمام

ولو وقفت في مجلس الزار ورأيت ما يجري فيه من المضلات والمكفرات بتزيين القرابين والركوب عليها والطواف بها وشرب الدماء وتلطيخ الوجوه والثياب بها وتيّ أحشاء الذبيحة لرأيت نفسك كأنك واقف في معبد من معابد اليونان لعبادة الاصنام والاوثان

أما ما يجري في الزار فانا نذكره ببعض التفصيل لان كثيرا من الناس يسمعون به اجمالا ولا يعرفونه تفصيلا واليك البيان

ان السبب الصحيح في انتشار الزار هو التقليد لا غيره فترى المرأة تدعي المرض ومن يتمارض يعجز الطبيب فيه فاذا عجز الطبيب طلب الزار واقنعت زوجها بأن فلانة كانت مريضة بمثل مرضها ولم تبرأ الا به وكأنها تنشد

ألا ياطبيب الجن هل لك حيلة ... فان طبيب الانس أعياه داؤيا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم تستحضر شيخة الزار وهذه تطلب منها اجراء العقد على اصطلاحهن، والعقد عبارة عن ربع ريال يوضع في اناء ويصب عليه ماء الورد ويوضع هذا الاناء على كرسي محاطا بأطباق فيها من أنواع الجوز واللوز والبندق واللبن الحامض، ثم تغتسل المسوسة وتلبس ثيابا بيضاء وتخضب يديها ورجليها وتضع هذا الكرسي بما عليه عند رأسها تلك الليلة، وفي الصباح تحضر الشيخة فتثقب ربع الريال ثم تضع فيه خيطا وتعقده على عضدها، ثم تصنع رقاقا بالسمن والعسل وتطعمه المسوسة وتكلفها بأن تجهز لنفسها في مسافة ما بين ليلة العقد وليلة الزار حليا معروفة لهم عند الصائغ، وهي عبارة عن خلاخل ودمالج ومعاصم ومعاضد وخواتم وأقراط مرصعة باللؤلؤ والمرجان، ومناطق وقلائد وخناجر وسيف ومصقلة وسوط وصولجان، وخوذة وسكاكين وغيرها، وجميعها اما أن تكون ذهبا خالصا أو فضة صافية، وتكلفها أيضا باحضار كثير من ملابس الرجال والنساء المختلفة من أردية وملاآت وأوشحة وأخرة وكلها من الحرير الملون المزركش بالذهب والفضة، فان لكل عفريت وعفريتة لباسا خاصا وقد تكون المسوسة ذات أخدان كثيرة يترادفونها، فاذا حانت ليلة الزار دعت صاحبتها صواحبها ونصب الكرسي ووضعت عليه الحلي وقامت الشيخة طبلها مع توابعها وفي أيديهن الدفوف يضربن عليها، ثم يخرن الحلي وبعد ذلك يفتتحن مجلس الزار بكلام مقفى ملحن تدور فيه أسماء العفاريت وكُناهم، فاذا بدأن بالنقر والالحان وذكرن اسماء من هذه الاسماء قامت المسوسة من صاحب هذا الاسم أو صاحبته وعملت ما يعمله، فان كان العفريت هو البدوي وضعت اللثام، وأخذت الحسام، ولعبت به لعب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الريح بفضل منطقتها ، وسط حديقتها ، وصالت كما تصول الابطال ، وقالت للاتراب نزال نزال . وان كان العفريت هو المغربي احتدت وغضبت، وحسرت عن جبهتها وقطبت، وأبدلت الجيم بالزاي، وقالت لفتاتها يامولاي ، وأسرعت في الكلام ، وابتدرت بالخصام

وان كان العفريت هو أوربي لبست الطربوش على حرف، وغمزت بالحاجب والطرف ، ثم اختالت وتمايلت ، واستمالت وغازلت

وان كان العفريت هو الصعيدي علقت في الهراوة جراب الزاد ، وأكثرت من قولة عاد .

وان كانت العفريتة رينه كشفت عن ساقيها ، وشمرت عن ذراعيها، وأخذت المصقله وأومأت الى العمل بها فلا تزال كأنها تنشر ثيابا وتطوي، وتصقل وتكوي

وان كانت العفريتة سفينة لعبت برأسها في طست من الماء ، لعب السفينة في الدأماء .

وان كان العفريت طفلا أو طفلة تكلمت بالفاظ الاطفال ، وحذفت من كلامها الحروف الثقال ، فكمل جمالها بهذا النقص ، كما كمل حسنها بذلك الرقص

وهكذا كل واحدة في دورها تلبس لبس عفريتها وتمثل عمله حتى تتأثر صاحبة الزار عند ذكر اسم عفريت من هذه الاسماء فتقوم وتعمل عمل صاحبه فيعلم حينئذ أنه العفريت الذي مسها

ولا يزلن في رقصهن وتمثيلهن حتى تضعف القوى وتعمل الاعصاب فيترامين مغشيا عليهن ولا يفقن حتى تأخذ الشيخة في فمها شيئا من ماء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الورد ثم تمجه في وجوههن، فاذا افقن عدن الى ما كن عليه من دق الدفوف ودعاء العفاريت حتى يقلقن الجيران وكلامٌ جار بالشكوى اعترضته زوجته خوفا عليه أن يمسه عفريت وقالت له «اياك والاعتراض» حتى اذا أشرقت الغزالة برز الكبش يتهادى في الحلي والحلل، بين الخدم والخول، بعد غسله وتطهيره، وتعويذه وتبخيره، وقد ركبته صاحبة الزار وأحاط بها ضاربات الدفوف فتطوف بهذا الزفاف سبعا حول ذلك الكرسي الذي بات وعليه النقل واللبن والشموع متقدة بين يديها، فاذا انتهت من الطواف اخرجنه الى الجزار فذبحه وتلقين الدم في اناء فتدهن المسوسة به قلبها وتلطخ وجهها ويديها وثيابها وتشرب منه ثم يتناوب الحاضرات ذلك ففعلن فعلها وبعد ذلك يستحضر اناء كبير من المزر (البوزه) ويشربن منه ويأكلن احشاء الكبش بعد شيّها، ثم تدق الدفوف ويحرق البخور ويخلين في المكان راقصات صائحات بقولهن «ياشايل الدم ياشارب البوزه يارينه يا بتاعة الزار، يارينه حلقك مرجان، سفينة في البحر عوامه، تقلع وتلبس وهدومها غرقانه» ولا يزال الحال على هذا المنوال الى أن ينضج الشواء فتضع الكودية على كل قرص من الفطير قطعة من الشواء وتناول كل واحدة نصيبها

وهذا الترتيب بعينه من تطهير الذبيحة وتبخيرها وتحليتها وزفها والطواف بها وذبحها والتلطخ بدمها وشيّ احشائها وتفرقة أجزائها مع الفطير كان يعمل عند عبدة الاوثان في تقديم قرابينهم ونذورهم

وبعد الاكل يعدن الى ما كنّ فيه الى ان يطوى النهار فتذهب كل واحدة من الحاضرات الى بيتها بعد ان تقبل يد الشيخة وتتبرك بها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا تسل عما يصيب كل واحدة منهن من وهن الجسم واضطراب الاعصاب واختلاف الصحة ، فما أشبههن في هذه الحالة التي يعتبرنها شفاء لامراضهن بحالة أولئك الذين كانوا يقومون من تحت حوافر الفرس مرضضين في تلك العادة القبيحة عادة الدوسة التي احسنت الحكومة كل الاحسان في إبطالها ، وياليتها تلتفت الآن لابطال هذه العادة الوثنية فتطهر الآداب من أرجاسها اذا لم يكن بالازواج نخوة تدفعهم لمحو هذا العار من بيوتهم ، وتنزيه نسائهم أن يكن من مطايا الجن {مصباح الشرق}

﴿ تعصب اوربا على الدولة العلية ﴾

لقد ظهر من خبث الدول الاوربية وافراطها في الطمع والتعصب الاعمى على الدولة العلية مالم يكن في الحسبان ، وأشوه مظاهر خبثها وطمعها وتعصبها ما كان في هذه السنين الاخيرة في أرمينيا وكريد وغيرهما ولقد عادت هذه السياسة السوأى من أوربا بالضرر على النصارى والمسلمين معا ، فكان ذلك فضيحة لدعواها حماية النصارى في بلاد الدولة ، فلم يبق في هذه البلاد عاقل يخدع بهذا التمويه ، وقد اعترف بهذا كل بصير حتى الذين يقلدون أوربا كاصحاب جريدة المقطم ، فعسى أن يعم هذا العلم جميع المسيحيين بواسطة عقلائهم وفضلائهم فيتفقوا مع بني وطنهم على اعلاء شأن الوطن في ظل الدولة العلية ورعاية المراحم السلطانية وما ذلك على الله بعزيز

www.alukah.net

مالابد منه (*)

قلنا ولا نزال نقول ان التربية والتعليم هما الركنان اللذان يقوم عليهما بناء السعادة ، والعاملان الرافعان الى قنة السيادة ، وهما أمران متلازمان لا يفارق أحدهما الآخر الا اذا أمكن وجود العمل من غير علم العامل بما يعمل . التعليم افادة العلم — أيّ علم — والتربية هي القيام بشؤون الصغير حتى يميز ويقدر على العمل ، وارشاده الى وجه الصواب في العمل عند القدرة عليه ، وفهمه مايلقى اليه ، حتى يتم له رشده ، ويكمل له عقله ، وهذا لا يحصل الا بالعلم النافع ، فالعلم هو الينبوع الذي يستمد منه القائمون بالتربية والتعليم ، العلم كثير والعمر قصير فلا يمكن ان يحصل جميع أفراد الامة جميع العلوم ولو استغرقوا جميع الاوقات ، وتركوا الاعمال وهي المقصودة بالذات ، فما هي العلوم والفنون التي لا بد منها لجميع الافراد ، ولا تسع جهالتها واحدا من الآحاد ؟

ان الشريعة الاسلامية قسمت العلوم التي فرضت على الامة تعلمها الى قسمين — واجب عيني وواجب كفائي — فالاول مايطلب من كل فرد من أفراد الامة ذكرانها واناثها كالفنون الباحثة عن تصحيح الاعتقاد وتهذيب الاخلاق وتطهير النفوس وكيفية العبادات وماهو الحلال ليتقى والحرام ليجتنب

والثاني مايطلب من مجموع الامة لتعلقه بالمصلحة العامة فاذا قام به

(*) راجع المجلد الثالث العدد الثالث والثلاثين الصادر في ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣١٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل قطر من الاقطار طائفة يكفون الامة ما تحتاجه منه سقط الحرج عن الباقين والا حرجت الامة كلها وكانت آثمة، واذا أثمت الامة كلها نزل بها البلاء وحل بها السخط الذي يقتضيه ذلك الاثم الكبير الذي ضاعت به المصلحة العامة ولكل ذنب بلاء على قدره، وذنوب الامم لا ينالها العفو ولا ترجأ عليها العقوبة كما هو مشاهد «وكذلك أخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة، ان أخذه أليم شديد»

المصالح العامة ما بها قوام الدين كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلوم التفسير والحديث والاصول والفقه الخ ماهو مشهور، وما بها قوام الدنيا كالزراعة والصناعة والطب والحساب والهندسة الخ ماهو معروف، وقال العلماء لا يكون الانسان كاملا في علمه حتى يأخذ من كل فن من الفنون المتداولة في عصره طرفا يعرف به موضوع الفن وفائدته ونسبته لغيره من الفنون لكيلا يعادي العلم ويذاكر اهله عن جهل ويحكم عليه خطأ ثم يصرف همه الى التوسع في العلم الذي يريد العمل به والانفراد فيه

وكأين من علم يكون في عصر من العصور من الكماليات فيصير في عصر آخر من الضروريات كعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) الذي كان في عهد العباسيين تقصد به اللذة اكثر مما تقصد به الفائدة (كعلم الهيئة الفلكية حتى الآن) وقد أصبح اليوم من الضروريات التي لا بد منها، سعدت بالتوسع فيه دول ساعدها على الاستواء على البلاد، والاستيلاء على العباد، من غير سيوف تسل، ونفوس تسيل، وبدون مدافع تسائل، وصياصي تجيب، وشقيت بالتقصير فيه امم فهبت بلادها من ايديها من غير أن تشعر،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجاس العدو ديارها تحت مواقع انظارها ولم تبصر ، ثم يتوقف اليوم على هذا العلم الحرب والجهاد، وسياسة الممالك والبلاد، فهو دعامة الحرب وأساسها، ومعيار السياسة وقسطاسها ، وكذلك الهندسة والفلسفة الطبيعية وفنون أخرى

جرت الامم القوية في التربية والتعليم على طرق لا مندوحة لنا عن محاكاتها فيها ومجاراتها عليها كماً وكيفاً، مع اعتبار حالة بلادنا الدينية والاجتماعية، ومراعاة مقدرتنا المالية والعلمية، لا ننا نعلم أن عزة تلك الدول وتقدمها على نسبة تقدم التربية والتعليم فيها . ومن يلاحظ سير الامم والدول في هذا العصر ويقيسه بمقياسه ، ويزن تقدمها وتأخرها بميزانه ، يتجلى له بالبرهان الرياضي الصحيح أن ذلك لا بد أن ينتهي بفناء بعضها وتلاشيه، وبلوغ بعضها من مراتب الوجود الممكن أقاصيه وأعاليه ، الا اذا عثر المجد وكبا الجواد، أو نهض العاثر من سقطته وجد المتخلف، واذا وقع الامران معا فذلك التوفيق ، القاضي بسعادة فريق لشقاء فريق ، ولا نيأس من روح الله في انالة أمتنا من ذلك ما تتمناه . شعر بهذا بعض خاصتنا فطفقوا يلهجون بالتعليم والتعلم وسرى هذا الشعور في كثير من العامة ولكنه شعور اجمالي لا يشرح الحقيقة ولا يهدي الى محجة الصواب . يذهب كثير ممن يسعون بانشاء المدارس وتعميم التعليم الى ان العلم الذي يكفل السعادة للائمة هو ما يعلم في مدارس الحكومة كبعض اللغات الاجنبية والفنون الرياضية والطبيعية والقوانين الاوربية الذي يؤهلهم للوظائف لان السواد الاعظم منا يرى ان الغاية من العلوم والفنون

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خدمة الحكومة بمعنى ان يكون للانسان وظيفة فيها تعطيه مالا يعيش منه وجاها يعتز به، ولا يبالي مع ذلك بأي محل ظهر وبأي لون اصطبغ، ومن يحو بتعليمه هـذا المنحي فهو جاهل، ومن يرمي بتعليمه الى هذا الغرض فهو خاسر، لانه غرض خسيس لا يتجاوز المنفعة الشخصية، ولا يبالي صاحبه بشقاء الامة بل ولا بفنائها اذا كان وسيلة لمصلحته وطريقا لمنفعته، وأجدر بتعليم هذا شأنه أن يعد من البلاء لا من النعماء، وان يرغب عنه ولا يرغب فيه، وان يسعى في ازالته لا في انالتـه . والغاية الصحيحة التي نقصدها نحن وجميع العقلاء من التربية والتعليم هي التي شرحناها في مقالة (الى أي تربية وتعليم نحن أحوج) من العدد السادس عشر أعني ما يجعلنا أمـة عزيزة سعيدة يحافظ كل فرد منها على جامعتـه الجنسية والدينية والوطنية، ويشرب في قلبه ان ما أصاب أمته من حسنة فنعمتها شاملة له، وما أصابها من سيئة فمرتها لاحقة به، ولقد قال أستاذنا الاكبر العلامة الشيخ محمد عبده كلمة بليغة في العلم الذي نحن أحوج اليه لاسعادنا وهي « العلم ما يعرفك من أنت ممن معك » وانها لكلمة حكيمة لمن وعاها وما يعقلها الا العالمون

وانا نذكر في هذه المقالة « مالا بد منه » من العلوم لكل فرد من أفراد الامة بحسب ما تقتضيه حالة العصر فنقول

(١) علم أصول الدين أعني علم ما هي القضايا الاساسية للدين وما أدلتها وما وجه الحاجة اليه، وماذا كان من أثره وفائدته في العالم، لا البحث في غوامض علم الكلام كالوجود هل هو عين الموجود أو غيره، والصفات هل هي عين الذات أو غيرها أولا عينها ولا غيرها، ولا ما ألحق به

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

توسعا في البحث وانطلاقاً مع الخواطر والافكار وليس منه ، كقول بعضهم ان خوارق العادات تصدر من جميع أصناف الناس مؤمنهم وكافرهم ، صالحهم وفاسقهم . وانما تترك أمثال هذه المباحث للذين يحبون الانفراد بالتوسع في الفن ومعرفة كل ما قيل فيه ، ولا فائدة منها للجماهير الا تهويش الاذهان ، وربما أضرت بالعقول والاديان

(٢) علم تهذيب الاخلاق واصلاح العادات فهو العون على التربية الصحيحة ويحتاج في كماله الى الفلسفة العقلية وعلم النفس

(٣) علم فقه الحلال والحرام والعبادات (ويسميه الاتراك علم حال) وانما فقهها أن تعرف على الوجه الذي تحصل به فائدتها للعامل بها ، كأن تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر لما تعطيه من مراقبة الله تعالى وخشيته ، ويكف الصوم عن الشهوات ويبعث على الشفقة ، وتمنع الحيلة في الزكاة وتعطي عن طيب نفس مع معرفة فائدتها في اصلاح حال الهيئة الاجتماعية والقيام بحقوق الانسانية ، ويلاحظ في الحج فائدة المساواة بين الناس حيث يقفون في صعيد واحد بهيئة واحدة لا زينة معها ولا طيب ولا فرق فيها بين ملك ومملوك وعظيم وصعلوك «سواء العاكف فيه والباد» . وفائدة التعارف بين المسلمين والاخاء حيث يجتمع في تلك الاماكن المقدسة العربي والتركي والفارسي والهندي والصيني الخ ويتآخون في الله تعالى . واني رأيت المسلمين لا يزالون يلاحظون معنى الاخاء في الحج ويسمون من يتعرفون به هنالك أخا ونعما هي

وفائدة تمثلهم بهيئة الاموات الخارجين من الدنيا ، ومعاهدة الله تعالى على التوبة والانابة والبر والتقوى ، وفائدة الخضوع والامتثال لامر الله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى ولو فيما لا يعقلون له معنى ولا يعرفون له فائدة ، كرمي الجمار وتقبيل الحجر الذي لا ينفع ولا يضر كما قال عمر رضي الله تعالى عنه

(٤) علم الاجتماع وأحوال البشر في بداوتهم وحضارتهم ومللهم ونحلهم وعاداتهم وسائر شؤونهم

(٥) علم تقويم البلدان « الجغرافيا » وقد مر بك الايماء الى فائدته وعظيم شأنه

(٦) علم التاريخ وينبغي أن يتوسع كل أحد في معرفة تاريخ أمته وملته وبلاده ، وأن يأخذ طرفا من التاريخ العام . والتاريخ ولا أزيدك به علما هو مادة السياسة وعمد العقل ومغذيه ، والمفيض على الارواح حب الجنس والوطن ، والهادي النفوس الى مصالح بلادها والمحافظة على استقلالها

(٧) علم الاقتصاد الذي يبحث عن انماء الثروة وحفظها وهو من أركان المدنية الحاضرة وما أضر بهذه البلاد (المصرية) الا البعد عن العلم والعمل بالاقتصاد ولما كان هذا العلم من مقومات الامم والدول سمي (علم الاقتصاد السياسي)

(٨) علم تدبير المنزل وينبغي ان تتوسع البنات في هذا العلم لانه وظيفتهن ، والعمل به منوط بهن ، وجهلهن به داعي الخلل في المعيشة ، ومن لم تكن أمور منزله منتظمة فلا عيش له وان ملك الدنيا بحذافيرها

(٩) علم الحساب ولا بد من معرفة القدر اللازم منه للبنين والبنات ويتوسع فيه الذكور لان الاعمال المالية الكبرى انما تناط بالرجال .

(١٠) علم حفظ الصحة « الهيجين » وهذا من أهم المهمات لتربية الاولاد وهناء العيش ، فكم أسقم الجهل به صحيحا وأمات مريضا ، وكم فتك

بالاطفال فتلك الاوبئة والادواء ، ومن نظر الاحصاآت الصحية في البلاد المتمدنة يعلم فائدة انتشار العلوم الطبية في الصحة العمومية

(١١) علم لغة البلاد . ترى الافرنج الذين يفتخر كبراؤنا ومدعو التمدن فينا بتقليدهم عن جهالة وعماية يفتخرون بلغاتهم ويدأبون على خدمتها ويسعون في تعميمها ، وقد جعلوها مناط الجنسية فهلا قلدوهم في ذلك عوضا من تقليدهم في تعلم لغتهم ! ! ؟ ؟ . للغتنا العربية علينا من الحق ما للغة الانكليزية على الانكليز والفرنساوية على الفرنساويين ، ولها حق آخر علينا هو أقدس من سائر الحقوق يوجب علينا إحياءها حتما وهو حق الدين الذي لا يمكن حفظه الا بها ، وهو ركن سعادتنا الدنيوية والاخروية . لست أعني بتعلم اللغة الذي جعلته مما لا بد منه لكل فرد من أفراد الامة حفظ متونها ومعاجمها ، ومدارسة كتبها الازهرية بحواشيها وتقاريرها ، فان ذلك ربما يمضي العمر على متوخيه بغير ثمرة ولا فائدة ، وانما أعني أن يدرس التلامذة جميع ما يتعلمونه بلغة عربية فصيحة ، وان يتدارسوا الكلام العربي البليغ منظوما ومنثورا مع التفهم لمعانيه ، وملاحظة أساليبه ومناحيه ، لتنطبع في نفوسهم ملكة صحيحة يقتدرون بها على الاتيان بمثل ذلك الكلام بسهولة ، ويضاف الى هذا تلقينهم كتبا مختصرة سهلة في النحو والصرف والمعاني والبيان بالطريقة المفيدة ، وكل هذا يمكن تحصيله في مدة وجيزة اذا كانت الكتب سهلة والمعلم حاذقا حكيما ، فان قيل وأنى يوجد هذا وذاك ؟ أقول متى وجد الطالب يوجد المطلوب

(١٢) فن الخط ولا تخفى فائدته على أحد .

يؤخذ من هذه الفنون القدر اللازم ، ولا بد مع تعلمها من الوقوف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على مواضيع العلوم المتداولة في العالم وفوائدها وبعض مسائلها في الجملة كما ألمعنا الى ذلك آنفاً، ليكون كل فرد على بصيرة من حالة عصره ولان العلوم والفنون يتداخل بعضها ببعض ويعد بعضها بعضاً. وما وراء الذي شرحناه كالعلوم والفنون التي عليها مدار ترقي الصناعة والزراعة والتجارة فيجب ان ينفرد لها طوائف من الامة، وحيث كان التوسع فيها يتوقف على الاستعانة بكتب الافرنج الذين أتقنوها وجنوا ثمارها فينبغي أن يتعلم بعض لغات أولئك الاقوام طائفة منا لاجل ترجمة الكتب المفيدة في تلك العلوم

هذا ما عن لنا في هذا المقام كتبناه على طريق الاجمال، فاذا سار عليه القائمون بتشييد المدارس نرجو أن يكون سعيهم مؤدياً لسعادة الامة والوطن، والا كان اغواء واضلالا ووبالا ونكالا، فقد جربنا التعليم بغير الصبغة الدينية فما زادنا الا بلية ورزية، ونرجو ممن رأى في كلامنا هذا منتقداً ان ينبهنا اليه، وربما نعود الى الموضوع في فرصة أخرى والله الموفق

رسالة الحاسد والمحسود

(للجاحظ)

[illegible] نسخة بخط علي بن هلال الكاتب المشهور

[illegible] الرحيم

[illegible] : وهب الله لك السلامة وأدام لك الكرامة ورزقك

[illegible] وجمع عليك النعمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتبت الي "أكرمك الله" تسألني عن الحسد ما هو ومن أين هو وما دلائله وأفعاله، وكيف تفرقت أموره وأحواله، ولم يعرف ظاهره ومكتومه، ولم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء، ولم كثر في الاقرباء وقل منه في البعداء وكيف دب في الصالحين أكثر منه في الفاسقين، وكيف خص به الجيران من جميع الاوطان ؟؟

الحسد — أبقاك الله — داء ينهك الجسد، ويفسد الاود، علاجه عسر وصاحبه ضجر، وهو باب غامض وأمر متعذر، فما ظهر منه فلا يداوى، وما بطن منه فمداويه في عناء، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء»

وقال بعض الناس لجلسائه أي الناس أقل غفلة ؟ فقال بعضهم صاحب ليل انما همه ان يصبح، فقال انه لكذا وليس كذلك، وقال بعضهم المسافر انما همه أن يقطع سفره، فقال انه لكذا وليس كذلك، فقالوا له فأخبرنا يا قل الناس غفلة، فقال الحاسد انما همه أن ينزع الله منك النعمة التي أعطاكها فلا يغفل أبدا

وروي عن الحسن انه قال: الحسد أسرع في الدين من النار في الحطب اليابس، وما أتى المحسود من حاسد الا من قبل فضل الله اليه ونعمته عليه قال الله تبارك وتعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) والحسد هيد الكفر وحليف الباطل، وضد الحق وحرب البيان. وقد ذم الله أهل الكتاب فقال (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) فمنه تولد العداوة وهو سبب كل قطيعة، ومنتج كل وحشة، ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رحم بين الاقرباء، ومحدث

إهداء شبكة الألوكة www.alukah.net

الفرق بين القرناء، وملقح الشر بين الخلطاء يكمن في الصدور كمون النار في الحجر، ولو لم يدخل رحمك الله على الحاسد بعد تراكم الهموم على قلبه، واستمكان الحزن في جوفه، وكثرة مضضه ووسواس ضميره، وتنغيص عمره وكدر نفسه، ونكد لذاذة معاشه، الا استصغاره لنعمة الله عنده، وسخطه على سيده بما أفاد الله عبده، وتمنيه عليه أن يرجع في هبته اياه، وان لا يرزق أحدا سواه، لكان عند ذوي العقول مرحوما، وكان عندهم في القياس مظلوما، وقد قال بعض الاعراب: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد، نفس دائم، وقلب هائم، وحزن لازم، والحاسد مخذول ومأزور، والمحسود محبوب ومنصور، والحاسد مهموم ومهجور، والمحسود مغتبط ومزور

والحسد - رحمك الله - أول خطيئة ظهرت في السموات، وأول معصية حدثت في الارض، خص به أفضل الملائكة فعصى ربه، وقايس بخلقه واستكبر عليه، وقال (خلقتني من نار وخلقته من طين) فلعنه وجعله ابليس وأنزله من جواره وشوه خلقه تشويها، فموه على أنبيائه تمويها. فسبي عزم ربه فواقع الخطيئة، فارتدع المحسود فتاب عليه وهدى، ومضى الحاسد اللعين على حسده فشقي وغوى. وأما في الارض فابنا آدم حيث قتل أحدهما أخاه، فعصى ربه وأثكل أباه، وبالحسد طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. لقد حمله الحسد على غاية القسوة، وبلغ به أقصى حدود العقوق، واذ ألقى عليه الحجر شادخا، فأصبح عليه نادما صارخا. فمن شأن الحاسد ان كان المحسود غنيا توبيخه على المال، وقال جنبه حرمانا ومضه أثاما. وألب عليه عساكر أقاربه وتركهم له خصماء، وأعانهم في الباطل، وحمل المحسود على قطيعتهم في الظاهر، وقال له: كفروا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معروفك، وأظهروا في الناس ذمك، فليس أمثالهم يوصلون فانهم لا يشكرون، وان وجد له خصما أعانه عليه ظلما . فان كان ممن يباشره فاستشاره غشه، أو تفضل عليه بمعروف كفره، أو دعاه الى نصره خذله، أو حضر مدحه ذمه، وان سئل عنه همزه، أو كانت عنده شهادة كتمها، وان كانت منه اليه زلة عظمها، يحب أن يعاد ولا يعود، ويري عليه العقود . وان كان المحسود عالما قال مبتدع، ولرأيه متبع، حاطب ليل، ومتبع نيل، مايدري ماحمل، قد ترك العمل، وأقبل على الحيل، قد أقبل بوجوه الناس اليه، وما أحمقهم اذا مالوا عليه، فقبحه الله من عالم ما أعظم بليته، وأقل رعيته، وأسوأ طعمته . وان كان المحسود ذا دين قال متصنع يغزو ليوصى اليه، ويحج ليثنى عليه، ويقرأ في المسجد ليزوجه جار ابنته، ويحضر الجنائز لتعرف شهرته، وما لقيت حاسداً قط الا تبين لك مكتومه بتغيير لونه، وتخويص عينه، واخفاء سلامه والاعراض عنك والاقبال على غيرك، والاستثقال لحديثك والخلاف لرأيك، ولذلك قال القائل

طال على الحاسد احزانه فاصفر من كثرة احزانه
دعه فقد أشعلت في جوفه ما هاج منه حر نيرانه
الغيب أشهى عنده لذة من لذة المال لخزانه
فارم على غاربه حبله تسلم من كثرة بهتانه

وكان عبد الله بن أبي قبل نفاقه نسيج وحده بجودة رأيه وبعد همته، ونبل شيمته، وانقياد العشيرة له بالسيادة والسعادة، واذعانهم له بالرياسة، وما استوجب ذلك الا بعد ما استجمع له لبه، وتبين لهم عقله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وافتقدوا منه جهله ، ورأوه لذلك أهلا ، لما أطاق له حملا ، فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، قدم المدينة ورأى عز رسول الله صلى الله عليه شمخ بأنفه فحسده ، فهدم اسلامه وأظهر نفاقه ، وما صار منافقا حتى صار حسوداً ، فحمق بعد اللب ، وجهل بعد العقل ، وتبوأ النار بعد الجنة

ولقد خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة فشكاه الى الانصار فقالوا يارسول الله لا تلمه فقد كنا عقدنا له الخرز قبل قدومك لنتوجه ، ولو سلم المخذول من الحسد لكان من الاسلام بمكان ، ومن السؤدد في ارتفاع ، فوضعه الله بحسده واظهار نفاقه . ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا حسد الا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه ، ورجل آتاه الله قرآنا فهو يقوم به في آناء الليل والنهار» كان ما سواهما مذموما ، وصاحبه عليه مقليا ، وربما نتج الحسد الكبر فيبلغ صاحبه في المقت غايته ، وفي البغض من جميع الخلق نهايته ، فلا يمر بملأ الا مضغوه ، ولا يذكر في مجلس الا سبوه ، واشهد انه في ملكوت السماء أشد مقتا ، لان النبي صلى الله عليه وسلم قال « أنتم شهداء الله في الارض فما رآه المسلمون حسنا كان عند الله حسنا وما راه المسلمون قبيحا سيئا فهو عند الله سيء »

وقال بعضهم اني أشتري اللحم فأخفيه من جيراني مخافة أن يحسدوني . وذلك ان الجيران — رحمك الله — طلائع عليك ، وعيونهم نواظر اليك ، فمتى كنت بينهم معدما فأيسرت فبذلت واعطيت ، وكسوت واطعمت ، وكانوا في مثل حالك فاتضعوا ، فسلبوا النعمة وألبستها أنت ، فعظمت عليهم بلية الحسد ، وصاروا منه في تنغيص آخر الابد

ولولا ان المحسود بنصر الله اياه مسرور ، وبصنعه محجوب ، لم يأت

عليه يوم الا كان مقهوراً ، ولا بات ليلة الا كان عن منافعه مقصوراً ، ولم يمس الا وماله مسلوب ، ودمه مسفوك ، وعرضه بالضرب منهوك

وقال مالك بن دينار تقبل شهادة القراء في كل شيء الا بعضهم في بعض ، فاني وجدتهم أشد تحاسدا من التيوس تشد النعجة فيهب عليها هذا التيس مرة وهذا التيس مرة ، وضرر المحسود الى صديقه اكثر منه الى عدوه ، والى خليطه أظهر منه الى مفارقه ، والى قريبه أسرع منه الى بعيده ، وذكر حميد الطويل انه سأل الحسن البصري فقال يا أبا سعيد هل يحسد المؤمن ؟ فقال أنسيت — لا أبالك — اخوة يوسف ؟ المؤمن يحسد ولكن مالم يظهر بلسانه ويده ،

وأقول ما خالط الحسد قلبا الا لم يمكنه ضبطه ، ولا قدر على تشحينه وكتمانه ، حتى يتمرد عليه في ظهوره واعلانه ، فيتعبده ويستعمله ويستنطقه لقهوره عليه ، لهو أغلب على صاحبه من السيد على عبده ، ومن السلطان على رعيته ، ومن الرجل على زوجته ، ومن الآسر على أسيره . وكان ابن الزبير بالصبر موصوفا ، وبالدهاء معروفا ، وبالعقل موسوما ، وبالمداراة متهوما ، فأظهر بلسانه حسدا كان أضب عليه لما طال في قلبه طائله ، حتى ظهر عليه مع صبره على المكاره ، وحمله نفسه على حتفها ، وقلة اكتراثه والتفاته على احجار المجانيق التي تمر عليه فتذهب بطائفة من قومه مايلتفت اليها ،

حدثنا عن علي بن مسهر عن الاعمش عن صالح بن حباب عن سعيد بن جبير انه قال قدت ابن عباس حتى أدخلته على ابن الزبير ، فقال له ابن الزبير أنت الذي تؤنبني ؟ قال نعم لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره طاو » فقال له ابن الزبير قلت ذاك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واتبعه بقول يدل على حسد كان ابن عباس من شره معصوما، وكان ذاك بما في قلبه لبني هاشم مهزوما، وكانت وخزة ثقيلة فلم يبدها له. وفروع بني هاشم حول الحرم باسقة، وعروق دوحاتهم بين أطباقها راسية، ومجالس بني هاشم من أعاليها غامرة، وبحورها بارزات العباد زاخرة، وأنجمها بالهدى زاهرة، فلما تجلت البطحاء من صناديدها استقبله بما أمكن في نفسه، والحاسد لا يغفل عن فرصته الى ان يأتي الموت على رمته، وما استقبل ابن عباس ذلك الا ما رأى عمر بقدمه على أهل القدم، ونظر اليه وقد أطاف به الحرم، فأوسعهم حكماً، وتعقبوا منه رأيا وفهما، وأشبعهم علما ولحما. ويروى عن ابن سيرين أنه قال ما رأيت أكثر علما ولحما من مجلس ابن عباس

وأما أنا فحقا أقول لو ملكت عقوبة الحاسد لم أعاقبه بأكثر مما عاقبه الله بالزامه الهموم قلبه وتسليطها عليه فزاده الله حسداً، وأقامه عليه أبداً (لها بقية)

﴿ مقتطفات من الجرائد ﴾

(دماغ الرجل ودماغ المرأة) — يبدأ دماغ المرأة بالتقهقر في سن الثلاثين أما الرجل ففي الاربعين

(الدخان لقياس رطوبة الهواء) — اذا أشعلت سيكارتك ورأيت دخانها يصعد مسرعا فاعلم أن الهواء رطب واذا رأيته يهبط أو يبقى سابحا فالهواء جاف وتعليل ذلك واضح لما تعلمه من ثقل الهواء اذا كان رطبا فاذا سبح الدخان فيه كان أخف منه فيتصاعد والعكس بالعكس

(نمو الاطفال) — معظم نمو الاطفال انما يكون اثناء النوم

(نفقات السلطان) — يقدرون نفقات جلالة السلطان بألف جنيه في اليوم

(امبراطور الصين) — تعلم اللغة الانكليزية عن يد بعض المرسلين / الاميركان حتى أتقنها جيداً

(طوابع البريد) — يبلغ عدد هذه الطوابع في كل العالم نحو ١٣٠٠٠ نوع

(حياة التاجر والزارع) — يؤخذ من الاحصاآت الصحية ان معدل حياة التاجر نحو ثاني حياة الزارع

(العمل الجسدي والعمل العقلي) — يفقد الجسم من القوة في العمل العقلي ربع ما يفقده في العمل العضلي على الاقل

(طول الحياة والنوم) — وجد بالاستقراء ان أكثر الذين يعمرون طويلا ينامون باكراً ولا غرو فاننا نرى من أول العوامل في تقصير مدة الحياة في مصر السهر

{ الهلال }

***

﴿ تقسيم أفريقيا ومساحتها ﴾

قسمت بعض الجرائد القارة الافريقية بين الدول فكان لانكلترا خمسة ملايين و٨٠٠ ألف كيلو متر مربع ولفرنسا تسعة ملايين و ٦٠٠ ألف ولبلجيكا مليونان و ٣٠٠ ألف ولالمانيا مليونان وللبورتغال مليونان و ٢٥٠ ألفاً ولمصر مليون فقط وللدولة العلية مثلها ولاسبانيا ٦١٠ آلاف ولايطاليا ٦٧٥ ألفا وللولايات المستقلة مليونان والغير مأهولة مليونان و٤٧٨ ألفا فتكون مساحة أفريقيا كلها ٣٠ مليون كيلو متر مربع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما الولايات المستقلة في أفريقيا فهي مراكش ومساحتها ٦٢٠ ألف كيلومتر والحبشة ومساحتها ٢٥٠ ألفا والترنسفال ٣٣٥ ألفا وجمهورية أورانج ١٣٠ ألفا

والذي يظهر مما تقدم ان لانكلترا وفرنسا أكثر أفريقيا ولكن حظ فرنسا من أملاكها أقل من حظ انكلترا الان في جملة ما تمتلكه صحراء أفريقيا العظيمة وهي لا تنفع شيئا وأما الحظ الحقيقي فهو حظ مصر لان المليون كيلو متر التي تمتلكها تسوى أفريقيا كلها (السلام)

اليمن

من أخبار صنعاء اليمن « الرسمية » ان الحكومة قررت بناء ميناء أمين تسع ست بواخر ومائة سفينة شراعية وذلك لان الريح الجنوبية التي هبت في هذا العام قد خربت ميناءها ولان هذه الفرضة من أهم الفرضات تبلغ قيمة الصادر والوارد منها نحو مليوني ليرة سنويا وقد استؤذن الباب العالي بذلك . وفي النية اصلاح فرضة (مخا) من أعمال تعز التي أصبحت مأوى لمئات من الصيادين بعد ان نزح سكانها وتجارها منها لضيق ذات اليد فيها وتقهقرها في العمران منذ خمسين أو ستين سنة على انها من القابلية لانواع الترقي بمكان

أخذ بانشاء المخافر التي ذكرنا فيما سلف صدور الامر الكريم بتشييدها بين الحديدة وصنعاء

وصل الحديدة السفينة « ريودريا » السلطانية وهي إحدى السفن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التي أصدر الباب العالي أمره بان تحافظ على الثغور اليمانية منعا لتهريب الاسلحة وكبحا لجماح الذين اعتادوا تهريبها

أنفذ حضرة ملاذ الولاية اليمانية رقيما الى ملحقات الولاية قال فيه: انه قد استبان من التحقيقات المهمة ان جباية الاعشار وزكاة الاغنام والخراج في الولاية هو على أصول غير مطردة مما حصل عنه غدر وخسارة للخزينة والاهلين وبقيت أكثر واردات الدولة المشروعة في زوايا البقايا فلهذا تقرر وضع تعليمات لجباية الخراج وهي تقسيم المبالغ المقيدة صفقة واحدة باسم العزلة بين أهالي القرى المؤلفة منها تلك العزلة بنسبة نفوسهم وثروتهم وتقيد حصة كل قرية على حدتها في قلم المال وبعد اعطاء مضبطة لكل قرية بما عليها توزع تلك الحصة في القرية على المكلفين ثم تحصل منهم بمعرفة المختارين المنتخبين أي العقال . أما جباية الاعشار فهي قريبة من ذلك أي ان المبالغ والحبوب التي تجبى بدلا وعينا والتي تقيد مرة واحدة باعتبار العزلة والمخلاف التي توزع على القرى وبعد تفريق حصة كل قرية منها تحتال كل قرية على حدتها أو تدار أمانة على حساب الحكومة. أما الاغنام فتعد بموجب تعليماتها اعتبارا من أول آذار «مارس» ذلك مانرجو ان يكون من ورائه حفظ أموال الخزينة وصيانة الاهلين من سوء المعاملة والمغدورية (ثمرات الفنون)

(المنار) نسأله تعالى أن يحسن على ولايتنا البيروتية بوال مثل والي اليمن عطوفتلو حسين حلمي بك افندي الموصوف بالديانة والعفة والاستقامة ونرجو مثل ذلك لجميع ولايات السلطنة السنية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ التنازع على السودان ﴾

تؤكد بعض الجرائد ان الاحباش كانوا محتلين لسوبات ثم غادروها وعسكروا على مسافة ٤٠٠ كيلو متر منها وان الرأس ولد جورجيوس هو القائد لهم وانهم نحو ٨٠ ألفا من المدربين وان السردار لما سار من فشوده الى سوبات علم بذلك ولكنه رفع العلم المصري عليها بالاحتفال المعتاد ويقال انه أرسل الرسل إلى صاحب الحبشة ويظن انه يحمله فيها على المصافاة مع الحكومة الخديوية

ويظنون ان هنتر باشا الذي سار في النيل الازرق وانتهى الى سنار ورفع عليها العلم المصري وجد الاحبوش قد سبقوه فرفعوا عليها العلم الحبشي . ويؤكدون أيضا ان الرأس منغاشيا معسكر بستين ألف مقاتل في فازوغلي . وهذه خير بلاد السودان المصري

ويقولون ان مرشان بي في فشوده ثلاث قلاع وان عنده خمسة محاريب مدرعة وانه عقد مع شيخ قبيلة الشلوك عهدا لم ينكثه الشيخ ولذلك أبى مقابلة رجال السردار الذين ألحوا بطلب مقابلته في فشوده

اذا صح هذا وصح ما قيل ان بين الاحبوش والفرنساويين معاضدة ومساعدة ولولا ذلك لما نجح مرشان في حملته فالامر جلل ومسائل السودان معضلة والله أعلم بمصير الامور

كتب والي كريت الى الاميرالية ان الحكومة استردت من المسلمين جميع الاسلحة في شهر ابريل سنة ١٨٩٧ فلا معنى لمطالبتهم الآن بغيرها.

وبلغ جواد باشا حاكم قنديا أهلها المسلمين بأن الجنود العثمانية لا تخرج من كريت اجابة لطلب الدول

وما كان ربك ليهلك القرى

(بظلم وأهلها مصلحون) (*)

توالت الفتن على الممالك الشرقية وأوغلت الدول الفاتحة في بلادها ، وولغت في أحشائها بعدما نقصتها من أطرافها ، واستدرت بالتجارة اخلافها ، تفنن الطامعون بها في اطماعهم ، ولونوا الفتوح والامتلاك بالوان كثيرة ، منها مايزعج مظهره وتفزع رؤيته ، ويخشى مخبره وتحذر مغبته . ومنها مايبهج منظره وتسر رؤيته . وتخدع غايته وتغر عقباه . ماهي تلك الالوان ؟؟ حماية رجال الديانة المسيحية . رعاية المصالح الخصوصية . وقاية البلاد من الاعداء . اصلاح البلاد ونشر المدنية فيها . الاحتلال الموقت لمعاهدات مخصوصة . الحماية . الاستئجار !!!

كل هذه ألفاظ لا معنى لها الا الاستيلاء والتملك بدون حرب ولا كفاح . وقد نجحت الدول القوية في هذه الحروب السياسية والفتوحات السلمية ، وكادت — لولا تنازعها — تستولي على جميع بلاد آسيا وافريقيا . على أن التنازع ما أوقف تسيارها ولا صد تيارها ، وقصارى ما فعل انه أطعمها الفريسة لقمة

(*) فاتحة العدد الحادي والثلاثين الصادر في ٢ جمادى الآخره سنة ١٣١٦